

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

العدد ١٣٣٩ سنة ١٩٢١ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م
تشرين الثاني دمشق مرة في شهر

تشرين الثاني و كانون الأول سنة ١٩٣٧ م
شعبان و رمضان سنة ١٣٥٦ هـ

مركز تحقيق كاتدرائية دمشق
المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية و لبنان ١٥٠ قرشاً سورية
الدفع مقدماً } وفي جميع الاقطار ٤٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

من السنة الاولى الى السادسة ٤	ثمان كل سنة منها	في الداخل ٢٥٠
السابعة الى الثانية عشرة	٤	٢٠٠
الاولى الى السادسة	٤	في الخارج ٤٠٠
السابعة الى الثالثة عشرة	٤	٢٢٥

مطبعة ابن زيدون * بدمشق



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

نهضة العرب العلمية

في القرن الأخير

محاضرة الأمير شكيب أرسلان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

لقد تكلمنا منذ أيام في النادي العربي عن نهضة العرب السياسية وسيرهم في طريق الاتحاد فيما بينهم اقتداءً بغيرهم من الأمم اللاتي كن مفككات مبعثرات ، فمازلن يسعين في الانضمام إلى أن أصبحن كتلة واحدة . ونحن نتكلم الآن عن نهضة العرب العلمية التي هي في الواقع أساس النهضة السياسية مختارين لهذه المحاضرة مكان التجمع العلمي^(١) الذي هو المنبر الطبيعي للمباحث العلمية كما اخترنا النادي العربي منبراً للكلام عن الوحدة العربية التي هي من مباحثه ، وإنما كان الفرق بين البعثين أن الواحد منهما سياسي صرف لا يجوز الخوض فيه إلا بالمقدار الذي تسمح به المصاحبة ، وأن الآخر علمي بحث بقدر أن يستقصي فيه الباحث ما شاء دون أن يتعرض لمحدور أو يعرض أمته لضرر ، وبهذه المناسبة أعلن أنني آسف بل جد آسف من أن أرى بعض اخواننا معقدين

(١) من غريب الاتفاق أن يأتي الأمير العلامة هذه المحاضرة الجامعة في التجمع العلمي في المكان الذي اجتمع فيه لأول مرة في مستقبل شبابه بمفتي دمشق الشيخ محمد المنيني الذي كان يقطن يومئذ في المدرسة العادلية التي كان له حق التولية عليها يومئذ .

ان الانسان إذا حاضر في باب السياسة وجب عليه أن يفرغ جعبته من أولها إلى آخرها ، وأن يجهر بكل ما يدور في خلده كما لو حاضر في باب العلم ، فهذا لا شك مذهب من يسميه الافرنج « بالولد الهائل » ومن ليس في الواقع جديراً بأن يطرق باب السياسة أصلاً بل بين هذا والسياسة ما بين المشرق والمغرب ، فنحن لا نرضى أن نكون من الأطفال الهائلين ولا من الذين لا يعرفون إلى أين يذهب الكلام ، بل نحن والله الحمد من أمة اشتهرت بالمرونة والدهاء وسرعة الاحظ وقد جاء في أمثالها : اللبيب من الاشارة يفهم ، ولقد كان هادياً الأعظم صلى الله عليه وسلم إذا أراد غزوة ورى بغيرها ، ومنا الذي يقول :

ومن لم يصانع في امور كثيرة يضر من يانياب وبوطاً بمنهم
وقائل هذا البيت هو الذي قال فيه سيدنا عمر رضي الله عنه أنه أشعر العرب لقوله : ومن ومن ، ثم أبدأ بالكلام عن نهضة العرب العلمية فأقول :

منذ عشر سنوات (أي سنة ١٩٢٧) اقترح علي الطيب الذكر الاستاذ يعقوب صروف صاحب مجلة المقتطف الذي انتهت اليه رئاسة المجلات العلمية أن أكتب إلى المقتطف شيئاً في موضوع النهضة الشرقية في هذه الخمسين سنة الأخيرة ، فكتبت يومئذ فصلاً ظهر في أجزاء المقتطف من تلك السنة وراق العلامة المشار اليه كثيراً وقد بدأنه بما يلي :

لا حاجة بنا إلى القول بأن أجلى مجالي هذه النهضة كان في العلم والتعليم ، وعندى انه لا نهضة للأمم سوى النهضة العلمية فإذا وجدت هذه جاءت سائر النهضات من سياسية وعسكرية واجتماعية واقتصادية الخ . . . آخذاً بعضها برقاب بعض . فإذا قلنا إن الشرق الأدنى نهض نهضة علمية كفيها تعداد سائر مظاهر نهوضه ومعارج رقيه ، لأن العلم وحده هو المفتاح وبه وحده الدخول إلى داخل البناء ، وكل نهضة لا يكون ظهرها العلم فما هي إلا ساعة وتضمحل ؛ وقد يقال ان نهضة شرقنا هذه ضئيلة لا تستحق أن تذكر بالقياس إلى معالي الأمم الراقية ، واننا لا نبرح متخلفين بمسافرة شاسعة عن أمد أوربة وأميركة واليابان ، فلماذا نشغل أنفسنا بما لا يشغل حيزاً في التاريخ العام ؟ وعلى هذا نجواب أنه ليس العلم متعلقاً بالكمال

وحده ، ولا البحث موقوفاً دائماً على ما بهر النهى وبلغ سدره المنتهى ، وإنما العلم هو ما تناول الدرجات كلها الدنيا منها والقصوى ، والبحث هو الذي به توزن مقادير الاشياء وتحدد نسبة بعضها إلى بعض ونسبتها إلى الوقت ، ثم اننا إذا تجرنا الحقيقة وجدنا الشرق العربي قد اجتاز في هذه الخمسين سنة في طريق العلم والحضارة الحديثة ما لم يتعباً لاوربة أن يتجازها قبلاً في أطول جدأ من هذا الرشح من الدهر ، وذلك انه من الطبيعي أن يسهل على المتأخر ما لا يسهل على المتقدم ، لأن المتقدم قد يضطر أن يمهّد الطريق ويسير ، وأما المتأخر فما عليه إلا أن يلحقه ويسير على طريق مذلل أمامه .

محمد علي الكبير مؤسس النهضة

فان النهضة الشرقية العربية - نسميها بالعربية إخراجاً لما سواها من نهضات الشرق كنهضة اليابان والصين في الشرق الأدنى بجذائنا - قد بدأت في الواقع منذ أكثر من مائة سنة اعهد محمد علي عزيز مصر فهو أول من لحظ الخطر الحائق من جراء جموده على أساليب العمران القديمة وجعل نصب عينيه حديثاً الغرب في أساليبه الجديدة حتى يتأق للشرق أن يقا تل الغرب بسلاحه ويدفعه عنه ويستقل بنفسه ، إذ كانت سنة الله منذ وجد العمران على سطح هذه الكرة أنه كلما تقوى جانب منها سطا على الآخر واجتاحه وضرب عليه الذلة والمسكنة .

فمحمد علي هو المؤسس الحقيقي لهذه النهضة الشرقية العربية ليس بوادي النيل فحسب بل في البلاد التي تجاور هذا الوادي المبارك وفي مقدمتها سورية ، وأول ما استنشق السوربون ريح الحضارة الحديثة إنما كان في زمن محمد علي وفي زمن غزاة ولده ابراهيم باشا للشام ، ثم انكفأ ابراهيم باشا إلى مصر سنة ١٨٤٠ وبقيت في سورية آثار الانتباه ونزعة التجدد ، وجد السوربون لا سيما أهل الساحل منهم ينشدون أسباب المدنية الغربية لما رأوا فيها من القوة والرفاهية ، وأنس المرسلون الامير كيون هذا الاستعداد في أهل سورية فأسسوا في بيروت كليتهم

الشهيرة التي كانت النبراس الاولى الذي استضاءت به سورية ، ولا يزال هذا النبراس يزهر في آفاق الشرق الى يومنا هذا . ورأت ام اخرى (كالفرنسيين والالمان والطيالمان والروس) ان ارض سورية قابلة جداً لبذور المعارف فبشوا فيها المدارس والكتاتيب وكل ذلك كان يبدأ في بيروت ثغر الشام البسام ، ففي بيروت والحق يقال ابتزع زرع العلم العصري وأخرج شطاه ثم أنبت في جميع الشامات ثم فيما جاورها واستغلظ واستوى على سوقه يعجب حتى الزراع الاوربيين اتقهم ، واضطرت الدولة العثمانية ان تفتح المكاتب الرشدية والاعدادية في سورية ، وأن تقبل كثيرين من شبانها في مكاتبها العالية في القسطنطينية فتخرج فيها ألوف من الناشئة منهم من تقلدوا مناصب ملكية أو عدلية ، ومنهم أطباء وصيدلة ، ومنهم ضباط نبغوا في الفنون العسكرية وامتازوا بين الأقران . ان ضباط العرب في العراق وسورية واليمن كلهم ممن تخرج في مكتب (بانغالي) في الاستانة ، وقد يزهدون على ثلاثة آلاف ضابط فيما يقال .

ومع ان النهضة العلمية في مصر لم يكن الاصل فيها لا الملكية الاميركية ولا الملكية اليسوعية في بيروت ولا مكاتب الدولة في الاستانة ، لا ينكر ان مصر كانت ميداناً لجياد القرائح السورية ، وأن أنبغ الذين تخرجوا في بيروت إنما ظهروا واشتهروا وتعلقت قناديلهم بمصر ، هذا كما ان لمصر على الشام فضل تخرج عدد لا يحصر من أبناء هذه في العلوم اللغوية والشرعية بالجامع الازهر وتخرج عدد كبير من أطباء سورية بالقصر العيني ، فما زال كل من القطرين المصري والشامي يشد الواحد منهما الآخر في كل ضرب من ضروب الرقي العقلي ، وقلما جدت في أحدهما شيء إلا سمعت رجع صده في الآخر . على ان النهضة الشرقية العربية وان كان قد ذر قرنهما منذ قرن فأكثر لم تسر هذا السير الخليلي إلا في الخمسين سنة الاخيرة التي شهدتها كاتب هذه الاحرف بجميع صفحاتها ، وذلك لانني بدأت بالكتابة في الصحف وبمرافقة الحركة العلمية في سرها منذ ٢٥ سنة متوالية ، في الحق إذا بان أدعي معرفة تاريخ هذه النهضة وما دخل فيه من التطورات على قدر ما يستطيع خادم امين للعلم زاول عمله في

مكافحة الجهل طوال مدة خمسين سنة دون أن يتخلف يوماً واحداً .

المصافة

لا نزاع في ان الصحافة العربية قد كانت من أقوى عوامل هذه النهضة بما أثارته من الحركة الفكرية ونقلت من أخبار الغرب الناهض الى أهل الشرق النائم ، وقد كان بحسب معلوماتي ، وربما أكون مخطئاً في بعضها ، أول جريدة عربية صدرت في الشرق جريدة الوقائع المصرية بعهد محمد علي ، ولكن بقيت سورية مدة طويلة لا تصدر فيها جريدة ، ويقال ان أول جريدة صدرت في بلادنا هي جريدة « حديقة الاخبار » أنشأها خليل افندي الخوري من شعراء لبنان في وقته وذلك سنة ١٢٦٠ هـ ثم اصدر المعلم بطرس البستاني الشهير نشرات وطنية في بيروت لذلك العهد ، ولم يلبث ان نشر جريدة اسبوعية باسم اللجنة ، ثم جريدة يومية باسم الجندية ثم مجلة شهرية باسم الجنان ، وقد التزم هذه المادة في التسمية لمناسبتها مع اسمه « البستاني » ، وكان اليسوعيون قد أصدروا في بيروت جريدة باسم البشير تغلب عليها المباحث الدينية الكاثوليكية ، ثم أصدر القس لويس الصابونجي جريدة النحلة ، واصر غيره جريدة اسمها النجاح ، واصر الامريكيون جريدة اسمها النشرة الاسبوعية ، ثم تحرك المسلمون فاصدروا جريدة سموها ثمرات الفنون ، وكانت تصدر بإدارة الشيخ عبد القادر القباني ، وقد تولى تحريرها في البداية العلامة الشيخ يوسف الاسير ثم خلفه عليها العلامة الشيخ ابراهيم الاحدب الطرابلسي ، وهذا كله كان بين ١٨٦٠ و ١٨٨٠ اي في مدة عشرين سنة ، فوجدت في بيروت في ذلك العهد عدة مطابع ، وصارت تطبع الكتب العربية بعد ان كان طبع الكتب العربية منحصراً في مطبعة بولاق المصرية وغيرها من مطابع مصر ، وكانت قد صدرت في الاستانة في اثناء حرب القرم سنة ١٨٥٥ جريدة مرآة الاحوال وذلك بامر الدولة وتولى تحريرها رزق الله حسون الكاتب الشهير ، وقد وقعت إليّ عدة نسخ كانت باقية عندنا من تلك الجريدة فيها اخبار حزب القرم

وغيرها من الاخبار ، ومما اذكره انه كان عند ذكر خديوي مصر يلقبه
بسعادة عزيز مصر ، واظن ان جريدة مرآة الاحوال هذه هي الجريدة العربية
الثانية بعد تقويم الوقائع المصرية ، وقد بقيت تصدر في عاصمة السلطنة العثمانية
عدة سنوات الى ان فر رزق الله حسون من الاستانة الى اوربة على اثر حادثة
جرت معه ، وقيل فيها انه اختلس مالا للدولة فلاد بالفرار ، وكان فارس احمد
فارس الشدياق في باريس فقدم الى الاستانة وانشأ جريدة « الجوائب » المشهورة
فكانت في وقتها أشهر جريدة عربية في العالم ، وكان لها مشتركون في جميع الاقطار
الاسلامية ، نظراً لبراعة كاتبها احمد فارس الممدود من اكبر كتاب القرون
الاخيرة ، واما رزق الله حسون فبعد ان فر الى اوربة نشر كتاباً تحت عنوان
« النفقات » نال فيه من الدولة العثمانية ، ومن صاحب الجوائب ، فاشار هذا الى
كتاب النفقات بقوله : « كان حسون لصاً وله سرقات ، فانقلب صلاً وله نفقات » .
واظنني غير محطى اذا قلت انه لذلك العهد او بعده بقليل ظهرت جريدة في
تونس اسمها « الرائد التونسي » وظهرت جريدة أخرى في مصر باسم وادي النيل ،
وربما يكون قد صدر في مصر جرائد أخرى لم أسمع بها ، ولست محاولاً في هذه
المجالة الاحاطة باسماء جميع الجرائد العربية التي صدرت وتوارى صدورها ،
فما انا اذكر الان اشهرها على سبيل التمثيل وأقول : انه لما انتشرت جريدة
الجوائب بمكان احمد فارس من علم اللغة وبراعة الانشاء وسعة المدارك كانت
عاملاً قوياً من عوامل النهضة العربية الادبية ، وصار صاحبها يطبع في الاستانة
من نفائس الكتب العربية التي كانت مجهولة ، والتي اطعم عليها في خزائن
كتب القسطنطينية ما اعجب به العالم العربي كله لا سيما انه نشرها بالطبع
الجميل ، وربما كانت خدمته للثقافة العربية بهذه المطبوعات في الدرجة الثانية
عن خدمة مطبعة بولاق ، واني قد ادرست ، وانا ابن ثلاث عشرة سنة أو
اربعة عشرة سنة ، عهد احمد فارس في اواخر عمره وكان لا يزال ، وقد بلغ
من العمر عتياً ، يخدم هذه اللغة الشريفة التي كان من اعلامها ، ومن شاء ان
يعلم مدى براعة احمد فارس ومبلغ بلائه في سبيل اللغة العربية والوطن

العربي ، فليراجع مجموعة كنز الرغائب في منتخبات الجوائب فهي كتاب يحتوي على سبعة مجلدات لا يمكن أن يستغني عنه من أراد الاطلاع على الحركة العلمية العربية والحركة السياسية العالمية بين ١٧٦٠ - ١٨٨٠ .

الحركة العلمية

ولنعد الى سير الحركة العلمية في سورية فنقول : انه إلى حد سنة ١٨٨٠ كانت الجرائد منحصرة في بيروت لا تعداها إلى غيرها من مدن سورية ، ولم يكن في دمشق سوى جريدة رسمية للولاية باسم (سورية) وبعد ذلك بكثير أصدر مصطفى واصف جريدة اسمها (الشام) ، وبعده أصدر الاستاذ كرد علي جريدة سياسية في دمشق اسمها (المقتبس) ، وكذلك كانت جريدة رسمية لولاية حلب باسم (الفرات) ، وكل من جريدتي سورية والفرات كان نصفها بالتركي والنصف الآخر بالعربي وقاما كانت تنشر شيئاً خارجاً عن الأخبار الرسمية . وكانت في بغداد جريدة رسمية اسمها (الزوراء) على هذا النمط أيضاً . وأما بيروت فكانت لا تزال على تقدمها في طريق العلم والعرفان ، وأول مدرسة داخلية في بيروت كانت المدرسة الوطنية التي أسسها المعلم بطرس البستاني ثم أخذت كل طائفة من الطوائف المختلفة التي في ساحل سورية تؤسس مدرسة داخلية في بيروت ، فكانت للروم الكاثوليك مدرسة يقال لها (البطريركية) وللموارنة مدرسة يقال لها (الحكمة) وللمسلمين مدرسة يقال لها المدرسة (السلطانية) تولى ادارتها مدة من الزمن العلامة الشيخ حسين الجسر الطرابلسي صاحب الرسالة الحميدية في التأليف بين العلم والدين ، وكان اليهود أيضاً أسسوا مدرسة داخلية باسم المدرسة (الاسرائيلية) كان يديرها زاي كوهين .

وكان اليسوعيون قد أنشأوا الكلية (اليسوعية) منازرة للكلية الاسيركية ؛ وكان في لبنان مدرسة فرنسية في كسروان يقال لها (مدرسة عينطورة) انتفع منها كثير ممن اشتهروا في اثقاف اللغة الفرنسية ، ثم شرع أساقفة الموارنة

يؤسسون مدارس لأبناء طائفتهم فكانت مدرسة (قرنة شهوان) ومدرسة (غزير) لبني زوين ومدارس أخرى متعددة ، وقد كان للحوارنة من قبل هذا مدارس قديمة أكثريكية مثل مدرسة عين ورقة ومدرسة مار عبدا هريريا ومدرسة مار يوحنا مارون ، وكان للكاثوليك مدرسة في الشوير ، وقد اطلعت على مطبوعات قديمة ترجع إلى مئة سنة أو أكثر جرى طبعا في كسروان بطابع للحوارنة منها مطبعة دير سيدة طاميش ، وكان للحوارنة من القديم يطبعون بالعربية والسريانية .

ولا يجوز أن ننسى المدرسة التي قام بإنشائها الامير ملحم أرسلان بمساعدة سعيد بك تلحوق لطائفة الدروز في قرية عبية ، فقد كانت من أقدم مدارس لبنان يرجع تأسيسها الى سنة ١٨٦٢ .

وكانت تقبل الطلبة مجاناً لاعتمادها في نفقاتها على الاوقاف التي ألحقها بها الأمير المشار اليه ، ولما تولى قائممقامية الشوف ابن عمه الامير مصطفى زاد الاعتناء بها وانتدب لها من الأساتذة مثل العلامة الشيخ أحمد عباس البيروتي وأمثاله ، وهي هي نفس المدرسة التي يشرف على ادارتها الآن الاستاذ عارف النكدي مدير العدلية في الدولة السورية بما اشتهر به من الدراية والأمانة وعلمو المهمة .

ثم نقول : انه كان ازدياد عدد الجرائد متساقماً مع ازدياد عدد المدارس فظهرت في بيروت بعد الجرائد المتقدم ذكرها جريدة لسان الحال لصاحبها خليل مركاتش وجريدة التقدم التي كان يتولى تحريرها أديب اسحق الكاتب المشهور في وقته ، وجريدة المصباح التي أنشأها المطران يوسف الدبس مؤسس مدرسة الحكمة ، وعهد بإدارتها وتحريرها إلى نقولا أفندي النقاش من أعضاء مجلس الامة العثماني ، وإلى بولس زين من ادباء الحوارنة ، وكانت مجلة المقتطف قد صدرت في بيروت لصاحبها العلامة الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر ومن أول نشأتها كانت مجلة راقية حافلة بالفوائد العلمية والصناعية والتاريخية واللغوية . وما لا جدال فيه ان للمقتطف أثراً بالغاً في عموم النهضة العربية ولا ينكره إلا كل مكابر . ومن مساعي العلامة بنين الشهبين صروف ونمر تأسيس مجمع علمي

في بيروت سموه المجمع العلمي الشرقي قد ضم نخبة العلماء والادباء الذين كان يشار اليهم بالبنان في ذلك الوقت ، ولم يكن هذا المجمع أول مجمع علمي في بيروت بل قد سبقه جمعية علمية تأسست قبل ذلك بنحو من عشرين سنة ، كان رئيسها الأمير محمد الأمين أرسلان ، وكانت من أعضائها الشيخ يوسف الأسير والشيخ ابراهيم الأحذب والشيخ ناصيف اليازجي والمعلم بطرس البستاني صاحب دائرة المعارف والسيد حسين بيهم وسليم أفندي رمضان وغيرهم من علماء ذلك الوقت وأدبائه .

وفي نواحي سنة ١٨٨٤ فيما أتذكر كان الشيخ عبد الحميد الخاني الاديب الدمشقي البارع جاء إلى بيروت فذكر ما رآه فيها من الرقي الفكري وسرد اسماء جرائدها نظماً فقال :

ثمرات مقتطف الجنان بشيرها بلسان مصباح التقدم قائل
ظل المعارف وارف في أرض بيرو تورط الفضل فيها قائل^(١)

ثم أنشأ علي بك ناصر الدين مجلة اسمها الصفاء صارت فيما بعد جريدة سياسية ولا تزال إلى هذا اليوم قائمة حق القيام بخدمة العلم والادب ، وقد كان لي فيها أول مقالة صدرت من قلبي وذلك سنة ١٨٨٥ ، وأصدر عبدالقادر أفندي الدنا جريدة باسم بيروت كان يكتب فيها الاستاذ البليغ السيد مرثضى الجزائري ابن أخي المغفور له الامير عبد القادر .

ثمانون جريدة في سورية

ولكن عدد الجرائد لم يزد هذا الازدياد الرائع إلا بعد إعلان الدستور العثماني ، ومن قبله صدرت جريدة طرابلس التي كان ينشئها الشيخ حسين الجسر ، ولم يكن جريدة سواها تصدر في غير بيروت من مدن سورية إلا انه لما اعان الدستور العثماني وثقورت حرية الصحافة أخذت الجرائد تنتشر بسرعة عظيمة فلما نشبت الحرب العظمى كان ينشر في سورية وفلسطين ثمانون جريدة

(١) الاولى من القول والثانية من القيلولة .

موزعة بين بيروت ولبنان ودمشق وطرابلس والملاذقية وحمص وحماة وحلب وصيدا وحيفا ويافا والقدس ، وكانت تظهر في هذه البلاد مجلات شهرية واسبوعية لا تقل عن بضع عشرة مجلة ، ولا نجد لزوماً لسرد أسماء جميع هذه الجرائد وهذه المجلات . وهذا أول دليل على سرعة الرقي العلمي في سورية ، وليس في الكلام أفصح من الأرقام ، فوفرة الجرائد دليل على وفرة عدد القراء ، ووفرة عدد القراء دليل على صدق عمل المدارس ، نعم انه لا يزال عدد الاميين كثيراً في هذه البلاد وربما بلغ مع الأسف ٦٠ بالمائة ، ولكن المظنون بحسب ما نراه من إقبال الأهلين على تعليم أبنائهم أنه لا يمضي عشر سنوات حتى ينزل عدد الاميين الى ٢٠ بالمائة . وقد كان في بيروت بضع عشرة مطبعة فتضاعف هذا العدد مرتين وثلاثاً ، وتأسست مطابع كثيرة في سائر المدن السورية ، وليس عمل هذه المطابع كله منحصراً في طباع الجرائد بل هي تقوم بطبع الكتب التي لا تطبع إلا إذا كان أصحاب المطابع يجدون لها عدداً كافياً من المشترين . وان مكانة الصحافة الآن في سورية ولبنان بالقياس إلى عدد أهلها لا تقل عن مكانة الصحافة في اوربة ، فاما في مصر فما لا شك فيه ان الصحافة أرقى منها في سورية لأن ثروة مصر أعظم من ثروة سورية بكثير ، وقد كان في أثناء ثورة عرابي باشا أي سنة ١٨٨٢ يصدر في مصر بضع جرائد لا غير منها الاهرام واللطائف والمفيد وغيرها ، فما زال عدد الجرائد يرتفع إلى أن تضاعف مراراً ، وان بعض جرائدها اليومية تصدر بثماني صفحات أو ست عشرة صفحة . ومنها جرائد مصورة كثيرة وربما تطبع الواحدة من جرائد مصر الكبرى من ٣٠ إلى ٤٠ ألف نسخة وقد أكد لي أحد الأخباريين الاوربيين الذين يراسلون الاهرام من امهات الجرائد المصرية أن هذه الجريدة لو وضعت في جانب صحف باريس في الاتقان وسعة النفقات وكثرة القراء لكانت معادلة لأحسنها .

ولما كانت الامثال أحسن مظهر لحقائق الاشياء وأبلغ مؤثر في النفوس رأيت الآن إبراد مثال وقع معي ، وكنت قد ذكرته في مجلة المقتطف ، وانه

يتبين الفرق الهائل بين حالة الصحافة في مصر منذ ٤٠ سنة وحالتها منذ عشرين سنة :

قلت في المقتطف : انني كنت زرت مصر سنة ١٨٩٠ ، وكنا نجتمع في مجلس الامام الشيخ محمد عبده ، وأكثرت ما كنا نسمر عند سعد باشا زعلول وهو يومئذ سعد أفندي زعلول وكان من المحامين المشهورين بمصر ، وكان ينتاب تلك الحلقة شيخ شخت الحلقة اسمه الشيخ علي يوسف ، إذا أتى جالس في آخر المجالس ما كنا ولبثنا أكثر المجلس مستمعاً تكاد ترثي له لضغفه ولمسكنته ، وكان قد بدأ باصدار جريدة اسمها المؤبد كانت تظهر مرتين بالاسبوع وهو يعجز أن يجعلها يومية إلا أن هذا الرجل على ضؤولة جسمه كانت بادية عليه سيما الهمة والعزم فزرتة مرة في مطبعة المؤبد فرأيتته جالساً على مقعد رث لا يسع أكثر من ثلاثة جلوس بعضهم ملزوز إلى بعض ، وأمامه منضدة بدون غطاء عليها من بقع الخبر ما يهول الناظر وهو يعالج تحرير مقالته في دخول العام الهجري الجديد حينئذ ، ولا يعرف كيف يصوغها و كانت بجانب الغرفة غرفة ثانية فيها المطبعة ، وبين الغرفتين باب مفتوح وأنا من مكان جلوسى أرى منضدي الحروف من خلال ذلك الباب يصفوف الحروف ، ثم اني رأيت الشيخ عالياً في تعب زائد مع مقالته هذه عن الحول الجديد ، وهو يكتب ويطاش ويمحو فقلت له : لو قلت كذا وكذا ٠٠٠ فأجابني : بالله عايك تكتب أنت هذه الانفتاحية فكتبتها أمامه ، هذا وبعد ٢٠ سنة من ذلك العهد جئت إلى مصر ،

المؤبد تطبع ٣٠ ألف عدد

وأنا ذاهب إلى حرب طرابلس فماذا وجدت ؟ وجدت جريدة المؤبد من أعظم الجرائد اليومية في مصر تطبع في كل يوم من ٢٠ إلى ٣٠ ألف نسخة ، ووجدت إدارة المؤبد تكاد تكون قصرآ من قصور الامراء فيها الزرابي المباشونة والطنافس الحريفة الفاخرة بدلاً من ذلك المقعد الحقيقير ، عليه ذلك الغطاء

القديم من الشيت بدون حشوة ، ووجدت مطبعة بخارية من أكبر المطابع كان صاحب المؤيد اشتراها بخمسة آلاف جنيه ، مع أن تلك المطبعة القديمة التي رأيته من قبل ما كانت لتساوي ١٠٠ جنيه .

ثم وجدت الشيخ علي يوسف نفسه من أكتب كتاب مصر وأسيلهم قلما ، فضلا عن اني وجدته عيننا من أعيان مصر وأشهرهم ذكراً ، ولم يقل الشيخ عن أن يذكرني بزيارتي الاولى عندما كان على تلك الحالة الرثة ، وأنت يقابل بها حالة الترف التي رأيته عليها يوم زيارتي الثانية ، فهذا المثال البارز كافٍ لقياس درجة الرقي الفكري في الشرق ^(١) .

انتشار الصحافة في العالم الإسلامي

ولقد كانت الصحافة العربية فيما مضى منحصرة في القطرين المصري والشامي فصارت الآن منبثة في جميع الأقطار العربية ، ففي العراق بضع عشرة جريدة ومجلة منها ما هو في بغداد ومنها ما هو في البصرة ، وكذلك ظهرت جرائد في الحجاز قد كان أولها جريدة القبلة في زمن الملك حسين ، ولما استولى ابن سعود على الحجاز استبدل بها أم القرى ، ثم ظهرت جريدة اسمها صوت الحجاز في مكة وجريدة ومجلة في المدينة المنورة ، وصدرت جريدة الايمان للحكومة اليمنية في صنعاء ، وصدرت جرائد عربية وراء البحار أشهرها جريدة حضرموت في جاوة ، كما انه يوجد في الهند مجلة عربية اسمها الضياء للاستاذ مسعود الندوي .

أما في المهجر فان للعرب نحواً من ٣٠ جريدة ومجلة : منها ما هو في أمريكا الشمالية وما هو في أمريكا الجنوبية ، وفي المهاجر العربية هناك من المصنوعات

(١) لا حاجة بنا الآن إلى سرد أسماء الجرائد المصرية الكثيرة ولا إلى سرد أسماء الجرائد السورية الصادرة في دمشق وحلب وبيروت وفلسطين ولا إلى ذكر المجالات الشهيرة كالقنطف واللال والرسالة وأمثالها ، فان الأعلام الشهيرة لا تعرف ولا تحتاج إلى تعريف .

والشعراء والادباء والأطباء والفلاسفة نقر تفخر بهم أوطانهم ، وهم جزء متمم للعالم العربي الادبي لا يتم إلا بهم ، واني اشبه الجاليات العربية في وسط هاتيك الامم الاجنبية التي تحصى بمئات الملايين بجزائر عربية صغيرة في أوقيانوس من العجمة لانهاية له ، وقد احتفظت مع ذلك هذه الجزائر الصغيرة بلغتها العربية وآدابها وأذواقها ومنازعتها ومشاربها ، وهذا لعمري برهان الاصاله والتبالة وعلو الهمة ، فان الذي ينجل بوطنه وقومه ليس بانسان ، وفي نيويورك شارع كبير خاص بالعرب تجدد فيه علي أبواب المخازن العناوين العربية فوق الانكليزية ، وتنتظر المطاعم العربية التي تظهو من المآكل الشرقية المتنوعة ما يكون قد درس بتمامه في البلاد العربية الأصلية .

وانك لتسمع الموسيقى ثمة العربية كيفما توجهت سواء من المغنين أو من الآلات الحاكية ، وإذا نظرت إلى النوافذ وجدت فيها الأصص من الفخار فيها الرياحين وأكثرها من الحبق الذي يقال له الريحان في دمشق وفي لبنان الحبق ، ويظهر أن العرب يأخذون هذه الريحانة أينما ذهبوا في الأرض ، فأني قد وجدتها بكثرة في اسبانية وهي حافظة اسمها العربي فيقول لها الاسبانول « هبة » أي حبة ، ومن غرائب ما سمعته عن اعتصام السوريين بعاداتهم القومية وهم في المهجر أن كثيرين منهم يسكنون في حارات على حدة ، وربما بنوا قري منفردة لأنفسهم ، وذلك ليكونوا أحراراً في ممارسة عاداتهم التي كانت لهم في بلادهم الأصلية ، فاذا حصلت أعراس عندهم حسبتها واقعة في نفس سورية بما فيها من الأغاريد والأناشيد والزغاريد وما يقال له في لبنان « التراويد » ، وقد حضرت في نيويورك عرس فوزي بك البريدي من زحلة ، وقد اجتمع فيه أبناء العرب فخلت نفسي في زحلة أو في أية بلدة من لبنان وكذلك قيل لي انهم في الاماكن التي يسكن فيها السوريون على حدة يمارسون عاداتهم الأصلية بالآتم فتتدب النساء من جهة حول الميت ويئذب الرجال من جهة أخرى ، وهم يذهبون ويحيئون ويأيدهم المتأذيل يهزونها في الهواء وهي ما كان العرب يقولون له المآلي واحدها مثلاً ، إلا أن بقاء هذه الحالة عند

السوريين المهاجرين لا يعدو العصر الحاضر ، لأن أعقابهم مع الأسف ذائبون إلا ما ندر في الجنسية الأمريكية ، وقما رأينا من ذرائعهم المولودين في أمريكا من يعرف اللغة العربية لا سيما الذين أمهاتهم من هناك ، وقد عالج بعضهم هذه الحالة وحاولوا استبقاء اللغة العربية بين المولودين في أميركة من أبائهم ، وفتحوا مكاتب وكتاتيب علمت بوجود اثنين منها في ديترويت ميشيغن ، وأحدثوني عن غيرهما ولكن هذا العوز لا ينسد مع الأسف ببضعة كتاتيب ، فالسوريون الذين في أميركة الشمالية يزيدون على ٢٠٠ ألف نسمة ، وهم في الأميركيتين جميعاً أكثر من نصف مليون .

وقد قيل لي : إن أعلى المهاجرين العرب همما من جهة الاحتفاظ بلغتهم هم مهاجرو العرب في البرازيل الذين عندهم مجلات راقية وجرائد مفيدة كما يوجد مثل ذلك في نيويورك ، ولم يقنصروا في البرازيل على بعض الكتاتيب لاستبقاء عروبة بابائهم ، بل أسسوا هناك لهذا الغرض مدارس عالية ، يدرس الطلبة فيها العربية الفصحى في جانب اللغة البرتغالية التي يتكلم بها أهل البرازيل ، أما إذا بقيت أبواب الهجرة مسدودة على العرب في أميركة الشمالية فلا يفي عليهم هناك أكثر من نصف قرن حتى ينقرض منها مع الأسف كل شيء ، أصله عربي ، ويصير وجود العرب في تلك القارة خيراً من الأخبار التاريخية .

الصحافة العربية في شمال افريقية

ولنعد إلى حديث الصحافة العربية الذي كنا في صدره فنقول : إن شمالي افريقية قد نهض في العصر الحاضر نهضة أكيدة ، وكثرت فيه الجرائد العربية والمطابع وسائر أدوات النشر التي تعول عليها كل امة ناهضة ، ولم يكن في بادئ الامر بغير تونس جرائد عربية مغربية ، وقد تقدم ذكرنا لجريدة الرائد التونسي التي كانت تصدر فيما أذكر من قبل احتلال فرنسة لتونس أي منذ ستمين سنة وبعد ذلك صدرت في تونس جرائد اخرى ، وفي يومنا هذا تصدر في تونس عدة جرائد ومجلات راقية كالزهرة والنهضة والصواب والمجلة الزيتونية وغيرها

وأما الجزائر فقد كانت تصدر فيها منذ خمسين سنة جريدة عربية واحدة اسمها المشرق ، وأظنها كانت الجريدة الرسمية للحكومة إلا أن الأهالي منذ بضع عشرة سنة نشروا جرائد متعددة في مدينة الجزائر وفي قسنطينة أتذكر منها « البلاغ » « وادي تراب » ، وأما اليوم فمن أشهرها جريدة البصائر ومجلة الشهاب ، ولم يقتصر اخواننا التوانسة والجزائريون على نشر أنكارهم في الصحف العربية التي أصدروها ، بل لأجل إمكان تفاهمهم مع الفرنسيين المحتلين لبلادهم وللخطابة بحقهم عمدوا إلى نشر جرائد وطنية عربية اسلامية باللغة الفرنسية وذلك على نسق مجلتنا العربية المتهج الافرنسية الملهج « لاناسيوت آراب »^(١) ومثل ذلك وقع في المغرب الأقصى الذي كانت السلطة مانعة فيه الأهالي الوطنيين من نشر الجرائد بتاتاً ، خلافاً للاجانب فقد كان ولا يزال يؤذن لهم في ذلك ، بل كان محظوراً إدخال الجرائد العربية الصادرة في البلاد الاخرى إلى المغرب ، وربما عوقب من وجد قارئاً لجريدة كهذه ، إلا أن الأهالي لم يزالوا يعترضون على السلطة من أجل هذا الضغط الشديد على حرية القراءة في بلادهم حتى سمحت من سنوات لبعض الادباء بإصدار مجلة علمية في الرباط اسمها المغرب أذنت لها في الظهور على شرط أن تكون موالية للحكومة فاضطر الحزب الوطني في المغرب إلى إصدار مجلة افرنسية في نفس باريز باسم المغرب Magreb جعلوا ادارتها بيد ضيف سورية الحالي روبرج جاب لونقة^(٢) الذي جاهد هو وأبوه كثيراً في النضال عن المسلمين الذين تحت حكم فرنسا وفي منحهم جميع الحريات التي لهم الحق فيها ، فلما ظهرت مجلة مغرب ، وأقبل شبان ذلك القطر العزيز ينشرون فيها باللغة الافرنسية من المقالات القيمة والآراء السديدة ما أحدث تأثيراً عظيماً في نفس باريس ، انتقمت السلطة من تلك المجلة بمنعها من دخول المغرب نفسه ، فأصبحت في المقام المتعد مع الوطنيين

(1) La nation arabe

(2) Robert Gean Longuet

الذين كانت ترأسهم عصبة العمل القومي ، ومنذ سنتين تمكن السيد محمد ابن الحسن الوزاني من زعماء النهضة الوطنية في المغرب من إصدار جريدة في فاس باللغة الفرنسية سماها عمل الشعب ^(١) وجعل مديرها افرانسيا حتى لا نتحكم السلطة من تعطيلها ، فلما ظهرت هذه الجريدة وأخذت تناضل عن حقوق الأهالي وتناقش بشدة الصحف الفرنسية الصادرة هناك ، أمرت السلطة بتعطيل هذه الجريدة خلافاً للقانون ، فبقي أهل المغرب يشنون من هذا الضغط إلى أن تولت فرنسا ولله الحمد الوزارة الشعبية في السنة الماضية فراجعته عصبة العمل القومي في موضوع حرية الاجتماع والكتابة . وما زالت المراجعات مستمرة باصرار إلى أن أذنت السلطة لعصبة العمل القومي بإصدار جريدتين احدهما بالعربية اسمها الأطلس يتولى تحريرها السيد محمد البزدي ، واخرى بالفرنسية اسمها العمل الشعبي ^(٢) يحررها السيدان أحمد بلالريج وعمر عبد الجليل من زعماء الحركة الوطنية المغربية ، وصدرت أيضاً جريدة عمل الشعب للسيد محمد بن الحسن الوزاني ، وجريدة اخرى بالعربية يقال لها الوداد كما انه صدرت في تطوان من المنطقة التي يحتلها الاسبانيول جريدة الحياة للسيد عبد الخالق الطوريس ومجلة السلاح للسيد محمد داود ، وأما في طرابلس الغرب فلم يكن أيام الدولة العثمانية غير جريدة الولاية الرسمية وفي الوقت الحاضر توجد جريدة للحكومة في طرابلس واخرى في بنغازي ، ولكن الطرابلسيين يقرؤون الجرائد العربية التي ترد اليهم من الشرق والغرب بلذة زائدة ولا عجب فان علاقتهم من جهة الشرق مع مصر والشام ومن جهة الغرب مع تونس هي علاقات أقطار شقيقة ، وفي زنجبار من شرقي افريقية مطبعة سلطانية من قديم الزمن ، اطلعنا على كتب مطبوعة فيها ، ومؤخراً وصلت اليها جريدة عربية صادرة في جزيرة زنجبار هذه .

فهذه هي لمحة دالة عن الصحافة العربية في الحسنيين من السنين الاخيرة

(1) L'action du peuple

(2) L'action populaire

لا نزع فيها الاحاطة وإنما نجتزئ بالاشارة التي تعطي القارئ صورة صحيحة عن هذا البحث وبالجمله فالصحافة العربية كانت من أعظم عوامل نهضة العرب ولا تزال تتقدم الى الامام .

المدارس في العالم العربي

ان الجرائد ليست وحدها هي المقياس الكافي لاجل إعطاء صورة صحيحة عن درجة الرقي ، بل المقياس الاكبر هو المدارس ، فمدينة بيروت مثلاً وعدد سكانها نحو من ٢٠٠ الف نسمة فيها من المدارس والجامعات ما لو قرنته بجامعات أوروبا ومدارسها لم تكن قاصرة عنها ، وربما كانت زائدة عليها إذا روعيت نسبة عدد السكان . وقد كنت منذ ٢٥ سنة في مدينة نابلس التي لم يكن أهلها يزيدون على ٢٥ الف نسمة ، فبحثت عن عدد المتعلمين في هذه البلدة فكانوا ٢٠٠٠ من الأحداث في المكاتب الاميرية ، وأحصينا عدد طلاب المدارس العالية في الاستانة فبلغوا مائة شاب ، فإذا نظرنا إلى عدد أهالي نابلس وجدنا عدد طلاب العلم من أهلها لا يقل عما يجب أن يكون في أية بلاد راقية ، وليس هذا المثال وحيداً في بابهِ ، بل له أمثلة كثيرة في سورية وان كنت لا أزال أتأسف من بقاء الامية في البلاد الى هذا الوقت أكثر مما كنت أظن وذلك بغلبة البوادي والقرى المفتقرة إلى التعليم ، ولم يكن هذا كله من نصير الحكومة وفقد ارادة العمل ، وإنما للتميزية المالية العمومية دخل في نزول درجة التعليم عما يجب أن تكون ، ومن الغريب ان الامية في مصر لا تزال أكثر منها في سورية بالرغم من ان بين القطرين بوناً شاسعاً في درجة الثروة ، أما تقدم التعليم في سائر البلاد العربية فأكثر ما برز منه للعيان بمدة قصيرة هو في المملكة العراقية لا سيما بعد أن حصلت على استقلالها ، فانه في وقت نصير أنشئت في العراق عدة مدارس عالية كدار المعلمين سيف بغداد والموصل ومدرسة الطب والثانوية المركزية وعدة مدارس ثانوية متوسطة ، وعدد لا يحصى من المدارس الابتدائية ، وفي العراق المدارس المسماة (رياض الاطفال)

كثيرة وهي أرقى من أمثالها في سورية ، والفضل يرجع في انقذان هذه الرياض الى المربي العربي الكبير الاستاذ ساطع الحصري ، ثم قد بلغني أن الكتبية من القاهرة وغيرها يصرون كل ستة مقادير جسيمة من الكتب المدرسية الى العراق وان هذا يزداد عامًا فعامًا .

أما في سورية فجامعتها العلمية تتألف من كلية الطب وكلية الحقوق والمدرسة التجهيزية الكبرى للبنين ، ومن فروعها دار المعلمين الابتدائية والعالية ، ومدرسة تجهيزية اخرى للبنات وفيها دار للعمليات أيضًا ، ومدرس ابتدائية كثيرة ، وفي حلب مدرسة تجهيزية ومثلها في دير الزور ومثلها في حماة واخرى في حمص ، ولو كانت الميزانية المالية كافية لقطعت سورية في أقصر وقت أبعد مرحلة في طريق التعليم ، وهذا ما نأمل الوصول اليه في غير بعيد من الزمن ولا سيما بعد أن نالت البلاد استقلالها فانه لا يرجي نهضة علمية إلا بنهضة سياسية فهاتان توأمان دائماً ، وقد بلغني من وزير المعارف الدكتور الكيالي أنه لما ضاقت مكاتب الحكومة في هذه السنة عن استيعاب جميع الاولاد الذين يرهد أهلهم إدخالهم فيها ، أوصى الوزير مديري المدارس الابتدائية بتسجيل جميع من يريد الدخول فيها ، كما أوصى مديري الكتاتيب الاهلية الحرة بأن يقبلوا كل من يأتيهم على أن تؤدي اليهم الحكومة النفقات اللازمة ، فيقظة الامة ولا سيما بعد استقلالها الحديث غير محتاجة الى استدلال .

المجمع العلمي في دمشق ومصر

ولا يجوز لنا أن ننسى ذكر مجمعا العلمي هذا الذي كان أول مجمع على نسق اكايميات اوروبة في الاقطار الشرقية ، فانه يضم نيفاً ومائة عالم شرقي ومستشرق كلهم من ذوي الشهرة الطائرة سواء في الغرب أو في الشرق ، وللمجمع مجلة علمية من أرقى ما صدر من المجلات في العربية وأدقها بحثاً وأحسنها اسلوباً وأجمعها للتراث وأحفظها بالفوائد ، ولا يستغني متخصص في العربية

إذا أراد جد الاطلاع عليها عن اقتناء مجموعة هذه المجلة منذ صدورها ، وقد سبقت سورية مصر في تأسيس هذا المجمع ، ولكن مصر عادت فسدت هذا العوز بتأسيس مجعها الحالي ، فكلا المجمعين الشقيقين يخدم هذه اللغة الشريفة وثقافتها بكل ما أوتي من قوة ووسائل . ولنا الأمل بأن يسير المجمعان معاً الى الامام خطوات واسعة ، وان حكومتى القطرين تشد أزرهما بالمالك الى الحد الذي يمكنهما من القيام بخدمات جلى للعربية والعروبة كما هو الشأن في أكاديميات الممالك الاوروبية ، فان أمام العرب مهات عظيمة في إثارة دفاثن عقولهم وكشف دارس مدنياتهم والتنقيب عن دفاثن تاريخهم لا يقوم بها إلا هذه المجامع العلمية التي هي أيضاً لا تقوم إلا بتوفير أقساطها من الميزانية المالية ، ولست متعرضاً الآن الى الكلام عما قام به المجمعان الشامي والمصري من الخدمة اللغوية بإيجاد الأنفاظ التي تقضيها حاجة العصر ، وإحياء ما وجد منها في لغتنا بتطبيقه على المعاني المناسبة له ، فان من شاء أن يعرف طائلا من هذا الأمر يقدر أن يراجع مجلات هذين المجمعين .

وانا نكون غفلنا عن الحق وأهملناه جانباً إذا كنا لا نقول إنه في القرون الأخيرة لولا بقاء الأزهر والأموي والزيتونة والقرويين لم يكن بقي أثر من آثار اللغة العربية فضلاً عن الشريعة الاسلامية ، فهذه المساجد الاربعة هي التي في الدرجة الاولى قد وقت هذه اللغة من الدثور ، وهذه الشريعة من البوار ، وقد كانت الفوضى في القرون الأخيرة المذكورة قد نسفت عمران هذه البلدان إلا بقايا تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد ، وتسلط على هذه الأقطار ولادة أتوا على الحرث والنسل ، وهدموا كل شيء وطمسوا كل رسم ، ومع هذا فقد بقيت هذه المساجد الاربعة بنوع خاص مع مساجد أخرى كانت تجري مجراها تقيم العربية على أركان ، وتصد غارات الجهل عليها وعلى الشريعة بقدر الامكان ، فكيف ثبتت هذه الشريعة وهذه العربية في وسط هذا الزوال . وكيف بقيتا في بهرة هذا الفناء مدة تزيد على أربعة أو خمسة قرون تعاور العالم الاسلامي فيها الانهيار من كل جانب ، ان هذا العجب عجاب !

ولا شك أن ثبات الشريعة واللغة في وجه هذه الصدمات السياسية التي تدكك الجبال هو الدليل الكافي على متانة أصولها ورسوخ قواعدها وغزارة القوة الحيوية التي فيها . وفي مصر عدا الأزهر معاهد كثيرة للعلم مثل الجامعة المصرية ومدرسة القضاء الشرعي ومدارس الحقوق والهندسة والزراعة مما لا يتيسر لي استقصاؤه الآن ، وإنما أشير إلى نتائجه الباهرة فإنه لا يكابر مكابر في أن الحركة السياسية الأخيرة التي جرت في مصر في الشتاء الماضي وانتهت باستقلالها بالرغم من معارضة الانكليز تحت مختلف العائل إنما كانت ثمرة هذه المدارس ، لأن الذين تولوا هذا الأمر هم العشرة الآلاف طالب الذين ثاروا في القاهرة ثورة الرجل الواحد وتجزوا الاستقلال القام لوطنهم تنجز المستميت بأذلين من دونه دماءهم بذل السخي لماله .

أثر الزيتونة والقرويين والأموي

وكما قام الأزهر بالواجب الذي عليه في مصر وكان أشبه بالصخرة العالية التي كانت لتكسر عليها أمواج الجهل والقوضى كذلك كان جامع الزيتونة في تونس وجامع القرويين في فاس والجامع الأموي في دمشق ، ومنها ومن المساجد الأخرى خرج العلماء الأعلام والمصاييح الذين أناروا الإسلام في دياجي ذلك الظلام ، ومن هؤلاء أيضاً خرج أولئك العلماء الوطنيين الذين أرادوا إدخال العلوم العصرية في البلاد والتحقيق بمعارف الأوروبيين حتى لا يبقى الشرق مقصراً عن الغرب فكانت الجامعات والمدارس العصرية الكثيرة وكان إرسال البعثات العلمية إلى أوروبا من أيام محمد علي إلى اليوم .

النهضة العلمية والردعة الوهابية

ولا يظن ظان أن الحركة التعليمية في جزيرة العرب قد بقيت كما كانت عليه قبل ، فأما في نجد والحجاز فلا يخفى أن الدعوة الوهابية توجب حمل جميع الناس على التعليم بدون استثناء ، وهو عندهم بمقام الجهاد فترى المعلمين

والفقهاء يجوبون الحواضر والبادي ويفتحون الكتابات الاحداث وربما شرقت قبائل من العرب وغربت والمعلمون معاً حتى لا ينقطع التعليم بالرحيل ، فالامية في البلدان الخاضعة لسلطان ابن سعود ستكون نادرة ، ولكن يعترض بعضهم قائلاً :

ان هذا التعليم النجدي لا يساعد الرقي المدني بل هو من النمط القديم الجامد الذي ليس فيه كبير جداء لأهل هذا العصر ، وهذا القول مردود من وجوه : أولاً أن النجديين يلتزمون تعميم القراءة والكتابة في البدو والحضر فزوال الامية هو بنفسه درجة عالية من العلم ، ثم انهم يحفظون الأحداث القرآن الكريم ويفسرونه لهم بعد رشدهم ، وأي كتاب حث على العلم والتعليم والسير والنظر أكثر من القرآن ، وأي كتاب قدس العلم والعلماء ونوه بالحكمة والحكماء أكثر من القرآن .

الاصلاح والعمران في المملكة السعودية

ثم ان منزع النجديين في الدين منزع إصلاح وترقية وتنقية ، ومشربه بعيد بالمرة عن الخرافات فهو مشرب إصلاحي مستحب جداً في العصر الحاضر ، وإذا سألت الاوربيين أنفسهم قالوا لك : انت مثل هذا المشرب هو الذي فك قيود الافكار وحل عقال العقول في اوروبا . وكان فاتحة عهد الارنقاء ، وكثيراً ما أطلق الاوربيون على الوهابيين لقب (بروتستان الاسلام) ، ثم ان هذا الملك عبد العزيز بن سعود امام الوهابيين القائم بتنفيذ مبادئهم لا يقف عن قبول أي علم نافع أو اختراع عصري مفيد ، فهو يجهز مملكته بجميع طرق العمران الحديثة ، وعنده التلغراف السلكي واللاسلكي في جميع بلاده ، وعنده التليفون والراديو ، وعنده السيارات الكهربائية تسير في طول البلاد وعرضها حتى صارت تلك الأرض الشاسعة تطوى طي السجل للكتاب ، ومن أعمال ابن سعود اعتناؤه بالصحة العمومية وتحويله فيها على الوسائل العصرية الحديثة ، وقد بدأ يستخدم الطيارات في الجيش ، ولو كانت ميزانيته المالية تأذن له في الانفاق

كما يشاء لما سبقه في هذا الميدان سابق ، ولكانت الادوات العصرية في جيشه لا نقل عن مثلها في أي جيش اوروبي ، ولكن المال قوام الأعمال ، ثم إذا كان المراد من العلم والتعليم هو إيجاد الامنة في السوابل فلا يكون في هذا المعنى أرقى من مملكة ابن سعود لأن الأمن العام ضارب أطنابه في بلاده كلها وواصل الى الدرجة التي يتحدث عنها المؤرخون في الكتب بعد ان كانت تلك الصحاري أشبه بمسبعة تزار فيها الضواري من كل فج ، وبالاختصار فالوهابيون يقبلون كل إصلاح مالم يصادم الدين ، والعلم والدين لايتصادمان في الحقيقة إلا عند من لم يحسن فهم كل منهما .

النهضة العلمية في اليمن

أما اليمن فانه يضارع مملكة ابن سعود في أمرين : عموم التعليم والامن الشامل ، فقد بلغني انه لا يكاد يوجد في اليمن قرية تخلو من فقيه يعلم الأحداث القراءة والكتابة ، وانه لا توجد مدينة ولا قسبة في اليمن إلا فيها حلقات تدريس للعلوم اللغوية والشرعية ، فالامية في اليمن نادرة ، نعم لا يوجد هناك من يعتني بالعلوم العصرية إلا نادراً وهي علة قد تزاخ قريباً ، لأن العلوم الادبية لا بد أن تثير حركة في الافكار وتجعل نهضة في النفوس ، وهذه من شأنها أن تهتف بنشيدان العلوم الطبيعية وذلك كما جرى في مصر والشام وغيرهما . هذا وامام اليمن يحيى بن محمد بن حميد الدين هو بنفسه عالم فاضل متبحر سيال القلم لا يغرب عن باله شيء مما يجب لترقية بلاده ، ولذلك نراه مهتماً بالمدرسة العسكرية التي في صنعاء ، وعنده معدل سلاح صغير شاهدته بعيني انا وزميلاي هاشم بك الاناسي رئيس الجمهورية السورية والحاج أمين الحسيني مفتي القدس الشريف ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى ، وعلمنا أن هذا المعمل يقدر أن يعمل البنادق وعلف البنادق كما يصنعونها في اوروبة ، ورأينا مصنوعات هذا المعمل عياناً ، ولنا الأمل بان نتسع دائرة هذا المعمل ، وأن يتأسس في البلدان العربية معامل أسلحة كثيرة تكون وافية بحاجات

أهلها ، ولا ننسى ان العراق والشام والمملكة السعودية هي في مقدمة الاقطار العربية التي تحتاج إلى مثل هذه المعامل ، لأن على العرب واجباً لا يجوز أن يغفلوا عنه طرفه عين ، وهو أن لا يكونوا عيالاً على اوروبا في التسليح فانه إن أمكنهم ذلك في زمن الحرب استطاعوا أن يدفعوا الأخطار عن بلادهم وخير للأرض أن تستغني بمائها عن مياه غيرها التي يجوز أن تنقطع عنها .

الشعر والشعراء

أما اللغة العربية من حيث هي ، فقد طارت في هذه الخمسين سنة الاخيرة بجناحين وصارت إلى جلالها الماضي وعنجهيتها القديمة فكثير في السنين الاخيرة سواد الكتاب والشعراء حتى صاروا يحصون بالآلاف ، إن لم يكن بالآلاف ، ونبغ منهم فحول يقدر الانسان أن يلزمهم في صفوف المنشئين والشعراء من أهل القرون الاولى للاسلام عندما كانت اللغة في ابان سورتها فلا تنظر في جريدة إلا تجد فيها من النظم الفائق والترسل الرائق لشيان لم تسمع في عمرك باسمائهم ، هذا عدا المفاقيين والعاقر الذين سارت بذكرهم الركبان وحفظ الرواة من شعرهم كما يحفظون شعر المتنبي وأبي تمام ، ولم يكن منذ خمسين سنة بمصر والشام والعراق والمغرب معشار العدد الذي نجده في يوم الناس هذا من هذه الطبقة الراقية في الادب منذ خمسين سنة أو ستين سنة فما قبل ، وكان إذا نبغ شاعر أو جرع كاتب ضرب به المثل لتفردده وخلو الجو من حوله ، والحال انه لو نشرته اليوم من قبوره ، وعرضته في الجمع لوجدت أمثاله يعدون بالعشرات ، وان كانت لا تزال له طلاوة ، فهذه الطلاوة لا ترتفع به إلى صفوف العقبين وإنما تجعله في صف المجيدين ، وقد كنا في سورية لا نعرف شاعراً أحسن من نصيف اليازجي اللبناني الذي نبغ في بيروت وصارت له تلك الشهرة الطائرة باستحقاق ، وهو لو وجد في زماننا هذا لما كان إلا واحداً من جماعة ، وكان في بيروت من الشعراء المجيدين عمر الانسي البيروتي يقرأ الانسان

شعره بلذة وكان قبل الانسي واليازجي أمين الجندية وبطرس كرامة كلاهما من حمص ولهما قصائد كسبا بها شهرة لا تزال لها إلى اليوم ، ولو انهما عاشا في هذا العصر لم تكن لهما هذه الشهرة بالرغم من إجادتهما ، وعلو طبقتهما ، وقد سأل الامير بشير الشهابي أمير لبنان في وقته الشيخ أمين الجندي عن المعلم بطرس كرامة قائلاً له : ما نسبة المعلم بطرس اليك في الشعر ؟ فأجابه : نسبة الشعلب إلى الأسد ، ولم يكن هذا الجواب صحيحاً لان لبطرس كرامة من الشعر لا سيما في الغزل والنسيب ما لا يقل رونقاً عن شعر الجندي ، وكان في بغداد ثلاثة شعراء أو أربعة اشتهرت اسمائهم في بلادنا مثل عبد الباقي العمري وصالح التميمي وعبد الحميد الموصلی وعبد الغفار الأخرس ، وكان أكثرهم شهرة عبد الباقي العمري وعبد الحميد الموصلی هنا بسبب مراسلاتهما مع نصيف اليازجي كما ان شهرة صالح التميمي كانت بسبب المناقشة التي وقعت بينه وبين بطرس كرامة ، وهذه الطبقة ، وإن كانت تعد من الطبقة العالية في الأدب ، فإن الذين جاءوا بعدها ردوها إلى الوراء فبعد أن كانت من المجلين صارت من المصاين ، اللهم إلا إذا حسبنا الشاعر الارزي الذي لا يلز هؤلاء في قوته ، ومن قبله ابن معنوق الذي كان يضارع الشعراء الأولين . وأما في مصر فما بدأ الشعر ينهض إلا بنبوغ محمود صفوت وبعده محمود سامي وهو صاحب النهضة الشعرية الكبرى ، وقد أجمع مؤرخو الادب على أنه مجدد الشعر العربي في هذا العصر ، وأنه الذي أعاد اليه ديباجته الاولى التي كانت القرون الاخيرة لا تعرف منها شيئاً ، وما كان شوقي وحافظ وغيرهما من شعراء مصر الا مبعوثين في عالم الأدب بأفئاس محمود سامي العالية ، واليوم لا يكاد يحصى عدد المجيدين من شعراء مصر وأغرب منه نبوغ شعراء في السودان لا يقل شعرهم في الاجادة عن شعراء الأقطار العربية الاخرى ، وقد نبغ في تونس في القرن الماضي محمد قباد وهو صاحب تشطير (أفاطم لو شهدت بطن خبت) الذي دخل فيه مدخلاً لا يفترق عن الاصل ، والذي له قصائد أخرى جياذ ، وجاء بعده شعراء في تونس لم أعلم منهم أحداً بلغ مداه ، وقد هبت

زيج الأدب في هذا العصر في أرجاء الجزائر والمغرب الأقصى ، وظهر شعراء ومرسلون يمكن ان يضعهم القارئ في صعيد واحد مع شعراء الشرق ، ومنها قبل في ترقى الشعراء في هذا العصر الاخير فأعظم منه قد كان ترقى الكتابة التي لم تتقدم في فصاحة الالفاظ وتنقيح الجمل فقط بل علت ببلاغتها وحسن أسلوبها وتشعبها بالمعاني الكثيرة التي أوجدتها الحركة العلمية الحديثة فاديل من الصناعة اللفظية والسجع الرنان بالمسحة العلمية والانشاء المرسل الملائم ، وهذا النوع من الكتابة هو أصعب أنواعها لمن أراد أن يسعى كاتباً ، ولا نزاع في أن ترقى كل من فني الشعر والكتابة في الأدب العربي قد كان وليد النهضة العلمية العامة التي حملت المتأدبين على مراجعة أحسن ما كتب العرب وخلفوه في زوايا المكاتب فسمحت لهم بسبب هذه النهضة العلمية إلى طبع الكتب التي لا تزال مجهولة ، أو مما ينحصر اقتناؤه في بيوت الأمراء والكبراء فصارت هذه الكتب من مثل ترسل ابن المقفع والجاحظ وأمثالها مشاعاً بين جميع عشاق الادب ، وكانوا كلما قرأوا كتب الادريين شعروا بحاجة الى مادة أغزر من اللغة العربية وأساليب أطلّ وفنون أبدع ومجال أوسم فكان اللغات الاجنبية هي نفسها قد كانت الحافز الاعظم على انقان العرب المحدثين لغتهم وارتوائهم من معينها ، ولا عجب في ذلك فالعلم يزيد بعضه بعضاً سنة الله في خلقه .

الفقه الاسلامي وعلماء الدين

هذا ما كان من جهة الادب العربي ، وأما من جهة الفقه الاسلامي فلا نقدر ان نقول انه تقدم الى الامام بل رجع في الحقيقة الى الوراء وذلك باستغناء الناس عنه بعلم الحقوق منذ ترجمت الدولة العثمانية هذا العلم عن قوانين اوروبا الى التركمية والعربية ، ومن عادة الناس أن يكون أكثر انشغالهم بما ينفعهم في دنياهم ، وليس كل العلم طراز مجالس . نحن أولاء قد أدركنا في أواخر القرن الماضي طبقة عالية من علماء العلوم الشرعية في دمشق مثل الشيخ محمود الحزاوي والشيخ سليم العطار والشيخ بكري العطار والشيخ سعيد

الاسطواني والشيخ الطنطاوي والشيخ علاء الدين عابدين والشيخ محمد البيطار وأخيه الشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ طاهر الجزائري والشيخ عبد الغني الميداني والشيخ محمد الخاني والشيخ جمال الدين القاسمي وغيرهم ، وكان الناس يستفتونهم في النوازل ويعولون على آرائهم في الدين والدنيا ، فلما انتشرت العلوم العصرية ومنها القوانين الادورية المترجمة التي عملت الدولة بها صار إذا مات واحد من هؤلاء الفقهاء لا يخلفه غيره ، وما زال الامر كذلك إلى ان كادت هذه الطبقة تنقرض بالمرة ، وكذلك كان في بيروت الشيخ عمي الدين اليافي والشيخ يوسف الأسير والشيخ ابراهيم الاحدب ، وفي طرابلس الشيخ حسين الجسر والشيخ محمود نشابة فمات كل هؤلاء ولم يخلفهم أحد ، وصار النبوغ للحمامين الذين تخرجوا في المدارس الادورية أو في مكاتب الدولة العثمانية ، والمحامون بمصر أكثر منهم بالشام لما في مصر من استبحار العمران . إلا انه نظراً لوجود الأزهر ومدرسة القضاء الشرعي في مصر بقي حملة العلوم الشرعية فيها أكثر منهم في سورية ، وكان الواجب على هذه الامة في كل قطر أن لا تهمل هذا العلم الذي هو من مفاخر الثقافة العربية ومن محاسن تاريخها والذي لا يستغني عنه المسلمون في المعاملات الدنيوية فضلاً عن المسائل الاعتقادية .

الطب والاطباء والصيدلة

وأما الطب فهو من العلوم التي يقوم عليها المشاركة أكثر من غيرهم ويوفقون فيها ، ومن الأطباء الشرقيين من يقيمون الآن في اورية ويشتهرون بالنبوغ بين أهلها ، وقد كانت الدولة العثمانية من الدول الراقية في علم الطب حتى يقال انها في الدرجة الخامسة بالنسبة الى الدول الاخرى ، وقد نبغ فيها عدد كبير من الاطباء الجراحين يعدون في الطبقة العليا بالنسبة إلى أطباء اورية وجراحيا أنفسهم منهم أتراك ومنهم عرب ومنهم أروام ومنهم أرمن ، ولا تقدر أن تقول أن سورية متأخرة في حلة الطب هذه عن غيرها بل اني أتذكر انه لما نشبت الحرب

العامّة ، واحتاجت الدولة إلى أطباء لجيشها ساقّت إلى الجيش ٢٠٠ طبيب ذي شهادة من جبل لبنان وحده وبقي عدد كبير منهم في البلاد . واليوم قد ازداد هذا العدد على ما كان عليه قبل ، وبلغني أن في دمشق وحدها اليوم (١٥٠) طبيباً ، وأنا نرى خريجي مدارس الطب من السوريين يتعاطون صنعهم هذه في مصر والعراق والسودان والحجاز وغيرها ، وما يقال في الطب يقال في الصيدلة التي لها ممثلون كثيرون من أبناء سورية ، وكذلك بدأ كثير من الشبان يدرسون في أوربة علم الجراثيم (البكتريولوجية) .

مناخ سورية للعلوم العربية

وما من علم يجتد في أوربة إلا أقبل عليه الشرقيون كما أقبل الغربيون وأخذوا . منه بنصيب ، فالمباراة إذاً جارية بكل ما يمكن من الهمة ، على أن سورية في علم الطب وتوابعه هي ذات المركز الاول في البلدان العربية ، وذلك لسبقها غيرها إلى ورود حياض العلوم الكونية فلا مصر ولا العراق ولا جزيرة العرب ولا إيران ولا المغرب تضارع سورية في هذا الموضوع ، ولكن نحن على ثقة أن جميع البلاد العربية من الآن إلى ثلاثين وأربعين سنة تصير متساوية بعضها إلى بعض في درجة الرقي العلمي .

ومن العلوم التي يمتاز بها العرب ، ولا سيما السوريين منهم ، العلوم العددية وقد نبغ الكثيرون ممن لا تقدر على احصاء اسمائهم نذكر منهم على سبيل التمثيل الشيخ محمد الطيبي في دمشق والمعلم بطرس البستاني والمعلم أسعد الشدودي في بيروت وغيرهم .

ولما كان السوريون من أقوى أمم الارض على التجارة كانت علم الحساب من العلوم التي يتخصصون بها بطبيعة الحال ، وكذلك في مصر لا يتصور ترقى العلوم الرياضية التي مصر من مراكز ازدهارها بل نقدر أن نقول ان المهندسين فيها أكثر منهم عدداً في سورية نظراً لأن الزراعة في وادي النيل أرقى بكثير منها في سورية .

بقي علينا أن ننظر كيف يكون اتجاه الامة العربية في المستقبل من جهة الثقافة ! أتأخذ بالثقافة الغربية ولوازمها ومتطلباتها إلى النهاية أم تبقى معتصمة بثقافتها الشرقية الأصلية لا تبغي بها بدلاً ولا عنها حولاً أم تأخذ من الثقافتين معاً وتجعل من ذلك ثقافة خاصة لا شرقية ولا غربية ! هذا سؤال يرد كثيراً على خواطر الباحثين وكل منهم يذهب في الجواب مذهباً ، وأظن أن ثقافة العرب المستقبلية ستكون عصرية آخذة من التجدد بأوفى نصيب لكن مع الاحتفاظ التام بالطابع العربي ، وهذه أشبه بما سبق للثقافة العربية في زمن بني العباس وفي زمن بني امية بالاندلس حينما نقل العرب حكمة اليونان إلى لغتهم واطلعوا على علوم فارس والهند فجعلوا من هذه الثقافات الثلاث ومن الثقافة العربية الأصلية ثقافة جديدة عالية كانت أرقى ثقافة في القرون الوسطى ، لكنها كانت زاهرة بطابعها العربي الذي لم يكن يفارقها بحال من الاحوال ، وهكذا ستكون ثقافة العرب بعد اليوم غير جامدة على القديم الذي ثبت للعرب المحدثين وجوب التعديل فيه والاضافة اليه ، ولن تكون منسلخة من القديم جاهدة في التبرؤ منه على النحو الذي نجاه الاثراك الكماليون الغالبون على تركية اليوم ، ولكنها تكون ثقافة جامعة بين القديم والجديد مختارة من كل شيء أحسنه مع بقاء الصبغة العربية القائمة غير المفارقة للعرب ، وذلك على النحو الذي نجاه اليابانيون الذين اقتبسوا جميع علوم الاوربيين ولم يغب عنهم منها شيء ولا فلتهم من صناعات أوربة دقيقة ولا جليل ، ولبشوا مع ذلك يابانيين أصلاء في لغتهم وأدبهم وطربهم وطعامهم وشرابهم وجميع مناحي حياتهم ، وحسب العرب قدوة للاقتداء ومثالاً للاحتذاء هذه الامة اليابانية العظيمة التي لا يوجد أشد منها رجوعاً إلى قديم ولا أخذاً منها بحديث .

والآمال معقودة بانه ستكون في الشرق الادنى نهضة عربية علمية تضاهي النهضة العلمية التي رأيناها في الشرق الأقصى .

لماذا تأخر الشرق الأدنى عن الأقصى

وإن كان الشرق الأدنى قد تأخر عن الأقصى في درجة الرقي العصري فلم يكن ذلك كما يتوهم بعضهم من جمود الامم الشرقية العربية ونفوق اليابانيين عليهم في حب العلم ونشدها وسائل القوة ، وإنما كان الموقع الجغرافي للبلاد العربية قد عرضها من هجوم الأجانب وغاراتهم المتوالية لما لم يتعرض له اليابانيون بسبب نقاصي ديارهم وبعد مزارعهم بحيث خلا لهم الجو وتمكنوا من أن يتعلموا ويتهندبوا آمنين على حوزتهم ، وهذا فرق طالما غفل عنه الناس ولم يتفطنوا لخطورته ، فحملوا بسبب غفلتهم عنه على الشريعة الاسلامية وجعلوها ظلماً وعدواناً هي المسؤولة عن هذا التأخر ، والمسؤول الحقيقي في الواقع هو الاعتداء الأجنبي المتواصل الذي يتيسر في الشرق الأدنى مالا يتيسر في الشرق الأقصى ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

تكميل ارسال



الصحافة في طرابلس الغرب

لما اطلع أحد ادباء طرابلس الغرب على محاضرة الامير نشسر في جريدة الجزيرة الكلمة الآتية ننشرها في مجلتنا إتماماً للبحث :

« قرأت في عدد ١٥ - ٧٠٥ من مجلتكم الغراء جزءاً من المحاضرة التي ألقاها في قاعة المجمع العلمي الدمشقي أمير البيان عطوفة الأمير شكيب أرسلان باسم النهضة العربية العلمية ، فوجدت ما نصه :

وأما في طرابلس الغرب فلم يكن أيام الدولة العثمانية غير جريدة الولاية الرسمية . وفي الوقت الحاضر توجد جريدة للحكومة في طرابلس وأخرى في بنغازي .

مع أن الذي أعلمه يقيناً ان بطرابلس في العهد العثماني عدة جرائد كالترقي والمرصاد والرقيب والعصر الجديد وأبو قشة (هزلية عربية) ونعيم حزبت هزلية تركية ومنشئها من طرابلس ، ومجلة باسم مجلة الفنون مصورة .

وفي العهد الايطالي بطرابلس جريدة العدل والرقيب العتيد وهي التي كان اسمها الرقيب في العهد العثماني ، والد كرى .

وأما في بنغازي فقد صدرت منذ نحو سنتين مجلة مصورة باسم « ليبيا المصورة » زيادة على جريدة باسم برهد بركة .

وما يجدر ذكره بهذه المناسبة ان جريدة الرقيب التي سميت في العهد الايطالي بالرقيب العتيد كانت أرقى في العهد العثماني .

طرابلس مغربي

جولة في مدارس اليمن

ولما كان عطوفة الامير شكيب قد تناول يبحث المعارف في بلاد اليمن

بصورة مجملة ولما كان منشئ الجزيرة^(١) قد قام برحلة الى تلك البلاد وطاف في مدارس صنعاء رأينا إتماماً للبحث أن نضيف إلى محاضرة الامير ما نشره في جولته عن مدارس اليمن قائلاً ما نصه :

ان الذين يقولون بان المدارس مفقودة في بلاد اليمن يهرفون بما لا يعرفون إذ يبلغ عدد المدارس في تلك الجهات نحو ٢٠٠ مدرسة بين مدارس صغيرة وكتاتيب وكلها مرتبط رأساً بالحكومة ، وبعضها مؤلف من ثلاثة صفوف وبعضها من أربعة .

نعم ان هذه المدارس لم تبلغ مستوى المدارس الحديثة في هذه البلاد بسبب فقدان الأساتذة الأكفاء ، ولكن حركة بسيطة تقوم بها حكومة جلالة الامام لا بد من أن تؤدي إلى تكوين نهضة ثقافية واسعة النطاق .
وفوق ذلك فان في صنعاء عدة مدارس كبرى أذكر منها المدرسة الحربية ودار المعلمين ومدرسة الايتام والمدرسة الزراعية ومدارس الصناعة ومدرسة الإصلاح والكلية العلمية .

والطلاب في جميع مدارس اليمن لا يتفقدون على الدراسة بل ان أكثرهم يأكل وينام ولبس على حساب الحكومة وهذه ماثرة خالدة نسجلها لجلالة الامام .

وقد التمس من سمو وزير المعارف أن يسمح لي بزيارة مدارس صنعاء فأذن لي بذلك وأرفقني بالشيخ يحيى النهاري وكيل مديرية المعارف وهو شاب يماي ذكي ونشط .

مدرسة الايتام

وقد بدأنا أولاً بزيارة مدرسة الايتام التي تعتبر من أرقى مدارس اليمن وهي مؤلفة من سبعة صفوف ستة منها ابتدائية وواحد ثانوي وجلالة الامام

(١) هو السيد تيسير ظبيان الكيلاني الدمشقي .

يتفق على هذه المدرسة من جيبه الخاص ويدخل في باب النفقات الطعام واللباس والنوم وغير ذلك ويبلغ عدد طلابها ٣٠٠ طالب أكثرهم من الايتام .

وقد استقبلنا مديرها الشيخ محمد نقي وأخذ يطوف بنا على غرف التدريس وقد فحصت بعض الطلاب وألقيت عليهم عدة أسئلة سيفي التجويد والعلوم الدينية والحساب والجغرافية والتاريخ والقواعد العربية فوجدتهم رغم رداءة طرق التدريس المتبعة عندهم على جانب عظيم من الذكاء وحسن الاستعداد لتلقف أنواع العلوم .

بيد أنني أرى من واجبي إرضاء لضميري وتنبيهاً للحكومة جلالة الامام أن أدون فيما يلي الملحوظات الآتية :

١- ان الطلاب يحفظون دروسهم عن ظهر قلب دون أن يتدبروا معاني ما يحفظون .

٢- بعض التلاميذ كانوا يجلسون على الارض لعدم وجود مقاعد كافية .

٣- يظهر ان العهد التركي ترك في المدارس بعض الاصطلاحات غير العربية وقد رأيتها متداولة ومستعملة في المدرسة نحو : يوقامة « تفقد » نوبتجي (مناب) فايدوس « فرصة » وقد نهيت مدير المدرسة إلى الكلمات العربية التي تقابل تلك المصطلحات الأعجمية فوعده باستعمالها .

٤- لعل من أغرب ما شهدت في هذه المدرسة أن بعض التلاميذ كانوا مقيدين بالسلاسل من أرجلهم ولما استفسرت عن ذلك قيل إنهم يفرون كثيراً فلم يجدوا وسيلة لمنعهم من الفرار إلا عن طريق الأغلال

٥- الطلاب كلهم يرتدون الألبسة العربية اليمنية وهذا أمر لا نعترض عليه ولكن لاحظت أن الطلاب عند أداء بعض التمارين الرياضية ولا سيما عند استعمال المتوازيين والحلقات وغيرها يجدون صعوبة ومشقة فحبذا لو يعد لهم لباس خاص مؤلف من سروال وقيص خصيصاً للالعاب الرياضية .

وما أدهشني وأثلج صدري أن التلاميذ استقبلوني بالاناشيد الوطنية المعروفة في بلادنا ولا سيما نشيد صليل الطيبي وصرير القلم . . . الخ

وقد شعرت بقوة حناجرهم وعذوبة أصواتهم مع عدم انطباقها على القواعد الموسيقية الحديثة .

والخلاصة فإن هذه المدرسة (رغم النقائص الموجودة فيها والمرجو تداركها حالاً) تعتبر من أعظم المؤسسات التعليمية في بلاد اليمن .

مدرسة الصنائع

ثم توجهنا بعد ذلك الى مدرسة الصنائع وزرنا بعض فروعها وأقسامها ولا سيما معامل النسيج والصابون والسجاد . ويتولى إدارة شؤون هذه المدرسة شاب مصري منتدب من قبل الحكومة المصرية اسمه عبد القادر علام ، وقد أطلعني علي خلاصة الاعمال التي قام بها والخطوات التي خطتها هذه المؤسسة الصناعية في مدة لا تزيد عن ثلاثة أشهر . ثم أراني الآلات والمكينات التي أحضرت حديثاً وأكد لي أنه لو وجهت الحكومة العناية الكافية إلى تقاريره لاستطاع أن يؤمن عن طريق صنائع الطلاب فقط جميع حاجات اليمن من المنسوجات .

ثم زرنا معمل الصابون وكان ينتج في اليوم الواحد ما لا يقل عن أربعة آلاف قطعة صابون ، ويدير أعمال هذا المعمل رجل فلسطيني أصله من عكا ، وقد سألت عن الزيت الذي يصنع منه هذا الصابون فقلت لي انه يستخرج من نبات غريب يظهر في اليمن ويشبه الخروع في تأثيره .

ثم زرنا بعد ذلك معمل السجاد وأعجبت بمصنوعات الطلاب من السجاد النفيس والأبسطة الجميلة .

المدرسة العلمية الكبرى

والمدرسة العلمية تعتبر أرق المعاهد العلمية في اليمن وهي تؤهل طلابها وخريجيتها بعد نوال الاجازة : (١) لتولي أعمال القضاء (٢) للقيام بشؤون التدريس في مدارس الحكومة (٣) الاندماج في وظائف الحكومة الكبرى . وعلمت ان

أكثر العمال في الأقضية والنواحي متخرجون من هذه المدرسة .

والطلاب فيها يأكلون وينامون ويلبسون على حساب الحكومة ، وقد زرت
غرف نومهم وقاعات التدريس والمطبخ الذي يعد فيه الطعام فألفيتها كلها على أتم
ما يكون بالنسبة لهذه البلاد .

وهذه المدرسة تدرس مختلف العلوم الدينية والعربية فهي تعتبر كالأزهر
في مصر ويبلغ عدد طلابها المئتين وقد اختبرت بعضهم فوجدتهم متفهمين
تماماً لما يلقى عليهم من الدروس ومتبحرين في الشؤون الدينية .

أما الدروس التي يتلقونها في هذه المدرسة فهي القرآن الحكيم ، أصول
الفقه ، مصطلح الحديث ، الحديث ، علم الفرائض ، تفسير القرآن ، التصوف
(ويسمونه علم الباطن) ، الصرف والنحو ، التوحيد ، المعاني والبيان ، المنطق ،
الإنشاء ، المحفوظات ، الأدب العربي ، التاريخ الاسلامي ، تاريخ الأئمة ، تاريخ
اليمن ، الحساب ، علم الاوقات والفلك .

والكتب التي يعتمد عليها في التدريس أكثرها من وضع علماء الزيدية
وبعضها مطبوع والبعض الآخر مخطوط وهذه أهم الكتب التي يدرسها الطلاب
في هذه المدرسة :

التجويد (شرح الجزري) ، مفتاح الفائض في علم الفرائض ، متن الازهار
في فقه الأئمة الاطهار مع الشرح ، الفية ابن مالك وشرحها لابن عقيل ، متن
الاساس في علم الكلام ، تفسير الزمخشري ، متن الغاية في اصول الفقه ، متن
التلخيص ، ملحة الاعراب .

ويبلغ عدد الاساتذة في هذه المدرسة ١٥ أستاذاً أذكر منهم حضرات :

الشيخ عبد الواسع بن يحيى الواسعي (مدير المدرسة)

السيد أحمد بن علي الكحلاني (رئيس المدرسين)

السيد حسين بن محمد الكبسي ، السيد أحمد بن عبدالله الكبسي ، الشيخ

الجمالي علي بن محمد فضة ، الشيخ حسين بن يحيى الواسعي ، السيد عبد العزيز بن علي بن ابراهيم ، السيد علي بن محمد الشهيد ، الشيخ محمد بن علي الشرفي ، الشيخ علي بن هلال التنب ، الحاج لطفي الفسيل ، السيد عبد القادر بن عبدالله ، الفقيه محمد مداعس ، القاضي يحيى الانسي .

وحفاظ القرآن السيد علي الطائفي والفقيه حسين الغيثي والفقيه علي الحيمي .

ملاحظة : القاب العلماء في اليمن القاضي لمن تولى القضاء أو كان والده قاضياً ، والسيد لمن ينتسب لسيدنا علي ، والفقيه والشيخ لـأثر العلماء .

عدي بن الرقاع العاملي

- ٣ -

مختارات من شعره

دهوان عدي بن الرقاع مفقود ولم يبق من شعره إلا القليل وهذا القليل غير مجموع في مكان واحد يمكن الرجوع اليه بل هو مبثوث في بطون الكتب لذلك فقد انصرفت مدة من الزمن أجمع كل ما عثرت عليه من شعره في كتب الأدب واللغة والتاريخ والتراجم وتقويم البلدان ، فقد أجد القصيدة من شعره مفرقة في أمكنة متعددة فأضمت بعضها الى بعض وقد أجد أبياتاً من بحر واحد وقافية واحدة منشورة على سبيل الاستشهاد في كتب اللغة وتقويم البلدان كلسان العرب لابن منظور ومعجم البلدان لياقوت فأجتهدت في ترتيبها وجعلتها قطعة واحدة متتالية بعد التحري والروية . ولم أجد من شعره قصيدة كاملة في مكان واحد إلا قصيدته الدالية التي مدح بها الوليد بن عبد الملك وأولها :

عرف الديار توهماً فاغتادها من بعد ما شمل البلى أبلادها
قد وردت برمتها في نهاية الأرب للنويري ج ٤ ص ٢٤٧ وشرح
الكامل للمرصفي ج ٧ ص ٤٨ ومجلة الآثار ج ٢ ص ٤٤٤ .

وهاك طائفة مختارة مما جمعته من شعره .

قال :

لو ثوى لا يريها الف حول لم يطل عندها عليه الثواء
أهواها يشفه أم أعيرت منظرآ غير ما أعير النساء

وقال :

وناعمة تجلو بعود أراكة موثرة يسبي المعانق طيها
كان بها خمرآ بماء غمامة إذا ارتشفت بعد الرقاد غروبها
أراك إلى نجد تحن وإنما منى كل نفس حيث كان حبيبها

وقال يجيب الراعي للمهجاه :

حدثت ان روبيعي الابل يشتني والله يصرف أقوامآ عن الرشد
فانك والشعر ذو تزجي قوافيه كبتني الصيد في عريسة الأسد

وقال :

صادتك اخت بني لومي إذ رمت وأصاب سهمك إذ رميت سواها
وأعارها الحدثان منك مودة وأعير غيرك ودها وهواها
بيضاء تستلب الرجال عقولهم عظمت روادفها ودق حشاها
وكان طعم الزنجيل ولذة صباء ساك بها المسحر فاهها
فاذا تجلجل في الفؤاد خيالها شرق الجفون بعبرة تشجاها
ياشوق ما بك يوم بان حدودها من ذبي المويقم غدوة فرآها

ومنها يقول في صفة حماري وحش :

يتعاوران من الغبار ملاءة بيضاء محكمة هما نسجاها
تطوى إذا علوا مكاناً جاسياً وإذا السنايك أسهلت نشرها
وقال :

وفي الخدور مها حور مصورة خلقن أحسن مما قال من يصف
إذا كررن خديثاً قلن أحسنه وهن من غير سوء يتقى صُدف
وقال يصف غيثاً :

مزن ترفع في ريح شامية مكلل بهاء الماء منتطق
تربص الليل حتى قل منامه على الرويشد أو خرجائه يدق
القي على ذات أحفار كلاكه وشب نيرانه وانجاب يأتلق
نار تعاود منها العود جدته والنار تسفع عيداناً فتحترق
فما به بطن واذهب نصحته وان تراغب إلا مسفه تثق
وقال في طول الليل :

وكان ليلى حين تغرب شمسه بسواد آخر مثله موصول
أرعى النجوم إذا تنور كوكب أبصرت آخر كالسراج يحول

وقال يمدح عمر بن هيرة :

إذا شئت أن تلقى فتى البأس والندی وإذا الحسب الزاكي التليد المقدم
فكن عمراً تأتي ولا تعدونه إلى غيره واستخبر الناس وافهم
فتى عزلت عنه الفواش كلها فلم تختلط منه بلحم ولا دم

كان زرور القبطرية علفت
عماس أسفار إذا استقبلت له
بكافح لوحات المواجه بالضحى
إذا ما رمى أصحابه بجبينه
وقال يفتخر:

نسيتم مساعتنا الصوالح فيكم
فان تعدونا الجاهلية اننا
بلا ذاك منا ابن المعدل مرة
يقود الينا ابني نزار من الملا
فلما ظننا انه نازل بنا
ونحن فككنا عن عدي بن حاتم
وما تذكرون الفضل إلا توها
لنحدث في الأقسام بوئاً وأنا
وعمرو بن هند عام اصعد موسماً
واهل العراق سامياً متعظاً
ضربنا وولينا جمعاً عرمرماً
اخي طيبي الأجيال قدماً محرماً

وقال يمدح عمر بن عبد العزيز:

جمعت اللواتي يحمد الله عبده
فأولهن البر والبر غالب
وثانية كانت من الله نعمة
وثالثة ان لبس فيك هوادة
ورابعة ان لا تزال مع التقى
 وخامسة في الحكم انك تنصف الض
عليهن فليهنني لك الخير واسلم
وما بك من غيب السرائر يعلم
على المسلمين اذا ولي خير منعم
لمن رام ظلماً أو سعى سعي مجرم
تخب يميمون من الامر مبرم
م عيف وما من علم الله كالعبي

وسادسة ان الذي هو ربنا اص م طفاك فمن يتبعك لا يتندم
وسابعة ان المكارم كلها سبقت اليها كل ساع وماجم
وثامنة في منصب الناس انه سبأ بك منهم معظم فوق معظم
وتاسعة ان البرية كلها يعدون سبأ من أمام متم
وعاشرة ان الحلووم توابع الحملك في فصل من القول في حكم
وقال في الخمر :

فكأنني من ذكركم خالطتني من فلسطين جاس خر عقار
عتقت في الدنان من بيت راس سنوات وما سبقتها التجار
فهي صباء نترك المرء أعشى في كياض العينين منها احمرار
وقال :

عرفت بعفر أو برجلتها ربعا رماداً وأحجاراً بقين بها سفعا
فما رمتها حتى غدا اليوم نصفه وحتى سرت عيناى كاتناهما دمعاً
أسرهم ما لو تغفل بعضها الى حجر صلد تركن به صدعا
أמיד كأنني شارب لعبت به عقار ثوت في دنها حججا سبعا
مقدية صباء تشخن شربها اذا ما أرادوا ان يراحوا بها صرعى
عصارة كرم من حديجاء لم تكن منابتها مستحدثات ولا قرعا
فذرذاولكن هل ترى ضوء بارق وميضاً ترى منه على بعده لمعا
تصعد في ذات الأراب موهنا إذا هز رعداً خلت في ودقه شفعا
فما تركت أركانها من سواده ولا من يياض مسترادا ولا وفعا

وقال :

لولا الحياء وان رأمي قد عسى فيه المشيب لزرت أم القاسم
 يصطاد يقظان الرجال حديثها وتطير بهجتها بنوم الحالم
 وكأنها بين النساء أدارها عيذه أحور من جاذر جاسم
 وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم
 هذه طائفة مختارة مما جمعه من شعر عدي بن ارقاع العاملي إذا أضيفت
 إلى ما ورد منه على سبيل الاستشهاد في البحثين السابقين صورت
 القاري شاعراً فحلاً من شعراء بني أمية الذين يمثلون الشعر العربي
 الخالص .

خليل مردم بك



نظريات الاقتصاد عند البيروني

النظريات الاقتصادية هي حديثة في حد ذاتها ، ولكن كما أ معنا النظر بالوثائق العربية القديمة رأينا أن السلف الصالح قد تطرق إلى كل ناحية من المعارف ، ولو أننا تابعنا ذلك المسير لكننا اليوم في مقدمة الأمم حضارة ومدنية .

البيروني هو أحد العلماء المسلمين الذي كان له الأثر الأكبر في جمع العلوم الإسلامية فهو أحد ثقات النقادين والباحثين في العلوم التاريخية والجغرافية والطبيعية والرياضية .

ولد أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني في عام ٣١٢ هـ أي ٩٧٢ م . في خوارزم وعاش ردها طويلاً من الزمن في بلاط ملوك غزنة السلطان مسعود وخليفته السلطان مودود ، أما الكتب التي أنفها فقد أدرجت بفهرست بروكلمن ودائرة المعارف الإسلامية الألمانية ، وكتاب الصيدنة الذي يبحث عن العقاقير ومنفعتها فقد نشره طبيب العيون في القاهرة وأحد الباحثين عن تاريخ الطب العربي الدكتور ما كس مايرهوف . ونشر ر . رامزي رايت R. Ramsay Wright الانكليزي كتاب التمهيد لأوائل صناعة التنجيم ، أما مخطوطة البيروني القيمة التي تبحث عن الاحجار (الجواهر في معرفة الجواهر) والتي اكتشفت فيها النظرية الاقتصادية فاني اعرف لها ثلاث نسخ :

أ : نسخة مخطوطة في مكتبة الاسكوريال في أسبانيا تحت عدد ٢٢٢ (١)

(١) انظر مقال شتاينشنايدر في مجلة الشرق الألمانية ١٨٩٥ عدد ٤٩ ص ٢٥٣

M. Steinschneider, ZDMG. 49, 1895, p.253.

وقد كنت اطلعت على هذه النسخة في مكتبة تاريخ العلوم الطبيعية في برلين فوجدتها مملوءة بالاغلاط .

٢ : نسخة محفوظة في مكتبة السراي في الآستانة كتبت عام ٦٢٦ هـ وقد اطلعت على صورة شمسية لهذه النسخة في جامعة بون ، وبقول الاستاذ كرننكو في مجلة ثقافة الاسلام الهندية التي تصدر باللغة الانكليزية في حيدر آباد (عام ١٩٣٢ جزء ٥ ص ٥٣٠ وما تابعه) ^(١) اب هناك نسختين في الآستانة في حين ان الاستاذ هلمون ريتو المقيم في الآستانة لتدقيق المخطوطات العربية في خزائن المكتبات التركية يعتقد أن هناك نسخة واحدة .

٣ : نسخة محفوظة في مكتبة رشيد أفندي في مدينة قيصري في تركيا ، ومكتبة بروسيا الحكومية تملك صورة شمسية لهذه النسخة التي كانت دليلي في هذا الموضوع .

وقد أتيت لي أن أدرس هذه المخطوطة دراسة متقنة اطلعت فيها على جميع مآخذ البيروني ، وقد عثرت هنا على نظرية اقتصادية لها تماس قوي مع النظريات الاقتصادية الحديثة أقرت بقيمتها كلية الفلاسفة في جامعة بون ^(٢) .

وقد كنت نوهت عن هذه المألة في مجلة الاعتدال (النجف نيسان ١٩٣٦ ص ٥٦١) . واني الآن سوف أبين ما هذه النظرية ، ولكن قبل الخوض في الموضوع أود أن آتي بنظرة تاريخية سطحية أبين فيها الذين سبقوا البيروني في هذا المضمار . في العهد اليوناني تطرق أفلاطون وأرسطوطاليس الى البحث في حاجة الانسان الى التعاون ، حتى ان أرسطوطاليس أشار بأن قيمة الدرهم ليست من ذاته بل بحسب الاعتبار ^(٣) . وهناك فيلسوف يوناني يدعى بربزون Bryson

Islamic Cultur VI, 1932 p. 530 ff. (١)

(٢) راجع أطروحتي الدكتورية عن منابع كتاب الاحجار المقدمه للجامعة بون

M. J. Haschmi, Die Quellen des Steinbuches des Beruni (Inaugural - Dissertation), Bonn 1935. P. 44, عام ١٩٣٥ .

(٣) راجع رسالة أوغار سالين (استاذ الاقتصاد في بازل ، سويسرا) عن تاريخ -

الذي بحث أيضاً بفلسفة الاقتصاد ولكننا لانعلم الزمن الذي عاش فيه .
 ويزعم الاستاذ مارتين بلسنر الذي دقق مؤلف هذا العالم مع ترجمته العربية ^(١)
 انه عاش على التقريب بين مائة سنة قبل الميلاد وبين مائة سنة بعد الميلاد
 وهناك نظرية اقتصادية للمدشقي نشرها الاستاذ هلموث ريتو في العدد الخامس
 من مجلة الاسلام الالمانية ^(٢) ، لانعلم أيضاً الزمن الذي عاش فيه هذا العالم
 المدشقي ولكنه ما بين القرن التاسع والقرن الثاني عشر .

فاذاً ان أهمية نظرية البيروني عظيمة لاننا نرى هنا تحديد الزمن الذي
 نشأت فيه هذه النظرية ، وقد سبق الفارابي البيروني في فكرة تشكيل
 الجماعات في كتابه القيم « المدينة الفاضلة » أما ابن سينا المعاصر للبيروني
 فقد ألف كتاباً في السياسة ^(٣) تكلم فيه عن حاجة الانسان الى التعاون
 ولكنه لم يذكر وجوب اتخاذ واحد قياسي للمعاملة في المبادلات ، فللمرة
 الاولى نجد تحديد النظرية الاقتصادية في الادب العربي عند البيروني وذلك في
 مقدمته القيمة في كتاب الجواهر في معرفة الجواهر ^(٤) .

— علم الاقتصاد السياسي في دائرة معارف الحقوق وعلم الحكومة برلين ١٩٢٩ ص ٦

Edgar Salin, Geschichte der volkswirtschaftslehre(Enzyklopaedie
 der Rechts - und Staatswissenschaft) , Berlin 1929, P. 6

Martin plessner, Der Oikonomikos des Neupythagorees (١)
 Bryson, Heidelberg 1928, P. 143.

Helmuth Ritter, Ein arabisches Handbuch der Handelswis- (٢)
 senschaft, Der Islam, VII, 5.

(٣) راجع مجلة المشرق العدد التاسع عام ١٩٠٦

(٤) رغم أن البيروني اعتمد في تأليفه هذا الكتاب على الكندي حيث

يقول : « ولم يقع في هذا الفن اعني فن الجواهر غير كتاب أبي يوسف بن اسحق
 الكندي في الجواهر والاشباه ، قد افترع فيه عذرته وأظهر دورته كاختراعه البدائع
 في كل ما وصلت اليه يده من سائر الفنون ، فهو امام المجتهدين واسوة الباقيين » ليس
 عندنا أي دليل على ما اقتبس من ذلك العالم في تكوين نظريته الاقتصادية ،
 وكذلك الامر بمعاصر الكندي الجاحظ الذي استقى البيروني منه بعض الاخبار -

ابتدأ البيروني في مقدمته بعد حمد الله بالكلام عن غاية الخليقة ، فتكلم عن النبات والحيوان ، ثم عن الانسان كخلق اجتماعي ، وبين بعد ذلك ضرورة اتخاذ قيمة ثابتة لتسهيل تبادل المصالح ، ثم يجلب هذا العالم نظر دقتنا الى الخطر الناشئ عن الغلو في تشريف الذهب والفضة فيبرهن لنا بأن لا قيمة مطلقة بل قيمتها قيمة نسبية إضافية ، وينتقل بعد ذلك إلى أبحاث الاخلاق الاجتماعية التي تجلب السعادة لبني البشر .

تشتق فكرة البيروني في الاقتصاد من الحاجة ، وهي حاجة المخلوقات إلى المعيشة ، فجعل الله النبات مكثفياً بالقابل من الغذاء الذي لا ينهم بسرعة ، وثابتاً مكانه يأتيه رزقه من كل مكان فيجذبه بعروق دقاق ؛ أما الحيوان فكان الانهضام فيه مرعباً ، منفصلاً عن منبعه محتاجاً إلى القضم والخصم فجعل منتقلاً بآلات الحركة في أكناف الارض لطلب القوت ، فأنعم عليه وأعطى خمس حواس للشعور بما حوله مما يأنه وغيظه : من بصر يدرك به المرغوب فيه من بعيد فيسرع إلى اقتنائه ، والمرهوب ليهرب منه ويستعد لاجتنائه وإتقائه ، ومن سمع يدرك به المذكور من حيث لا يدركه البصر ، ومن شم يدلّه على خواص الاشياء ، وذوق يظهر له الموافق من الغذاء وغير الموافق ، ولمس يعرف به الحز والقر والرطب واليابس والصلب واللدن والخشن واللين .

فالبصر محسوسه النور الحامل في الهواء ألوان الأجسام خاصة ، وإن حمل أيضاً غيرها من الاشكال والهيئات ، والسمع محسوسه الاصوات والهواء يحملها اليه ، والشم محسوسه الروائح ، والهواء يوصل حواملها الى الحياشم إذا انفصلت

عن الجواهر ، أما ارتباط البيروني باخوان الصفاء فلا يزال غامضاً ، ولم أعثر الا على التشابه بين فكرة التطور في الطبيعة عند اخوان الصفاء وعند البيروني ، وقد كنت بحث في هذا الموضوع في مجلة المجمع العلمي العربي من عدد ايلول ١٩٣٢ ، راجع اطروحتي (الدكتوراه) وملحق تاريخ الادب العربي لبروكلمان الحديث ص ٢٨١

C. Brockelmann, Geschichte der arab. Literatur, Supplement, Leiden 1936., I. P. 381.

من المشحوم كانهصال البخار من الماء باختلاط أجزائه المنتشرة في الهواء ، والدوق محسوسه الطعام والرطوبة تحملها وتوصلها إلى الذائق وتولجها في خله ؛ أما حاسة اللحم فانها عمت جميع البدن في أعضائه وفي آلات سائر حواسه ، وأول ما يلاقي الكيفيات ظاهر البدن ، ولهذا كان الجلد يحس اللحمس أولى واليه أنسب ، ثم ما وراءه أول فأول بحسب اللين واللفظ ، فيزول به حس اللحمس عن العظام .

إن المشاعر وإن جعلت طلائع الحيوان للاقتناء والابقاء فان النوع الانساني قد فضل على جملة الحيوانات بما شرف به من قوة العقل ، ورشح للخلافة في الارض على التعمير وإقامة السياسة فيها ، ولهذا دانت له طوعاً وكرهاً ؛ ولولا هذا الانعام على الانسان لما قاوم أدونها ، وقد أفرد من حواس الانسان اثنتان هما السمع والبصر فجعلتا له مراقبي من المحسوسات الى المعقولات ؛ ويستدل البيروني هنا على خطورة السمع والبصر بأية قرآنية : « ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً » ، وكذلك يبين من أشعار العرب كقول أعشى بن ربيعة :

كأن فؤادي بين جنبي عالم بما أبصرت عيني وما سمعت اذني
وقول جميل بن معمر :

إذا كنا بمنزلة للهوى يخاف السمع فيه والعيونا

وبعد أن تكلم البيروني عن الحواس والمشاعر أتى على خطورة تكوين الجماعات إذ يقول :

الاستيناس يقيم بالتجانس حتى قيل ان الشكل الى الشكل ينزع ، والطير مع الانه تقع . فالأخرس يسكن إلى أخرس ، لأنه يفهم لفته فيما هو بين قوم لا يفهمون عنه شيئاً ، ولذا أشار البيروني الى تلك الآية الكريمة في تشكيل الجماعات : « هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها » . وهكذا يعد البيروني الزواج استدلالاً بالقرآن كضرورة من

ضرورات الاجتماع ، إذ هو يفضي الى سكنى القرى والمدن ويسبب التكاثر
للتعاون في الغايات ، أما سبب تعدد الحرف والصنائع فبعللها بما يلي :
الانسان في جباثته مركب البدن من أمشاج متضادة لا تجتمع الا بقهر
قاهر ، والنفس في أكثر أحوالها تابعة للمزاج فتتلون لذلك وتختلف اختلافه .
ومعلوم أن المقهور دائم النزوع إلى ازالة القهر عنه ، وهذا هو سبب ما يلحق
الحيوان من الآفات والاذى الذي يحتاج من داخله إلى المضادات المطيفة به
من خارجه ، ثم ان الانسان لعراه في ذاته ، ومسكنته لعدم آلائه مقصود
بالبلايا من غيره ، دائم الحاجة الى ما يقيه والاضطرار الى ما يكفيه . وهنا
يبدأ البيروني بالكلام عن الحاجة ، ويرى أن حاجات الانسان لا تنفضي
طالما هو حي يرزق ، ويستدل على صحة رأيه بهذا المثال :

يموت مع المرء حاجاته ، وتبقى له حاجة ما بقي

أما ضرورة التعاون فقد سبق كثير من العلماء البيروني كاثال افلاطون
وأرسطو والفارابي وابن سينا وغيرهم كما ذكرت ذلك سابقا . واث فكرة
التعاون عند عالمنا مطابقة كل المطابقة للنظريات القديمة السقائلة بأن حاجات
الانسان متعددة فلا يمكن افرد أن يستقل بتداركها بنفسه ولا يفي بها الا
تفر ، ولهذا احتاج الانسان الى التمدن . وهناك حكمة إلهية الا وهي
اختلاف توزع الناس في الأرض بين الالهواء والهمم كيلا يطبقوا على اختيار
واحد هو الافضل فيضيع ما دونه . وهنا يأتي البيروني بحكمة قيمة ورغم
مرور العصور نجد ان تلك الحكمة لا تزال حديثة كأن قائلها عالم عصره
يعيش بين ظهرائنا ، يقول ذلك الحكيم الخالد : « يؤدي تساوي البشر الى
هلاك جملتهم » . فينادي البيروني من تلك العصور الماضية مخذراً من دعة
الشيوعية الذين يدعون امكان تساوي البشر ويفهمنا الخطر العظيم من ذلك
الخيال الذي حلم به كثيرون .

أما الحرف والصنائع فيجد البيروني أنها نشأت من اختلاف المقاصد

والارادات . فالتعاوض اتخذ البشر بعضهم بعضا سخرىا ، فالتسخير بالجور والاستيجار لا يدوم ولا يستقيم . وانه لكثرة الغايات وتباين اوقاتها واستغناء الواحد أحيانا عما عند الآخر لجأ الناس إلى طلب أثمان عامة بدل الاعواض الخاصة ، فاختاروا لها ماراتق منظرة وعز وجوده وطال بقاءه ثم اننادوا للمعظيم بالتوحيد وللمتصغير بالتجزئة والتبديد وللختم بالتنقيش والتصوير مسترددا بين صنوف الميثاق والصور مع ثبات هيولاه ومادته . ولهذا السبب يعتقد البيروني ان الله تعالى لرأفته بخلقه وظاهر عنايته بهم خزن لهم قبل خلقه ايام جميع الموزونات في أرحام الارضين تحت الرواسي الشاخات الانتفاع بها في الاجتلاب والدفاع ، واليه يرجع قوله عز وجل (وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون) ثم قدر الله في الفضة والذهب جميع مصالح الناس حتى تحلى أثمان المطلوبات وهداهم اليهما فاستخرجوهما من معادنهما التي عديا فيها دهوراً ، ووكل الساسة بهما ليحفظوهما من تمويه الخونة أشباهها المغايرة إياهما ابدالا عنها ، وليهذبوهما عن الادناس بالسبك والطبع ، فما من حق مع محقق الا وبإزائه باطل مع مبطل يروم ترويجه في مكانه . وهذا وأمثاله هو المحوج اولى السياسة ليستحقوا اعم الخلاف في الخلق .

يعرفنا البيروني بالضرر الذي ينجم من الغلو في تقدير الذهب والفضة واختراجهما ، فيأتى بنظرية اقتصادية تابع اليوم دوراً عظيماً في عالم الاقتصاد فان هناك من يعتبر تلك النظرية ويعدها الاساس الاكبر في هذا الفن ومن يرفضها رفضاً باتاً . وقبل أن نعلم من هو القائم بملك النظرية الحديثة يجب ان نسمع ما يقوله البيروني :

لما سهل على الناس تكاليف الحياة وتصاريف المعاش بالصفراء والبيضاء ، انطوت الافئدة على جمعهما ومالت القلوب اليهما . . . واشتد الحرص على ادخارهما والاستكثار منهما . وجل محاسنها من الشرف والأبهة وضعاً لا طبعاً واصطلاحاً فيما بينهم لا شراً ، لانهما حجران لا يشبعان بحد ذاتهما من جوع ولا يرويان من صدى ولا يدفعان بأساً ولا يقيان من أذى . . . فيبرهن

البيروني بذلك انهما خيران بالوضع وسماهما الناس خيراً كالمطلق لاحتوائهما على المناجح في المآرب . وببذه المناسبة يأتي البيروني بحكاية عن الشعوب الابتدائية: « أخبر بعض من سافر في البحر أن الريح أفضت بمركبهم الى جزيرة عادلة عن الجادة فأرثفوا عندها ، وانه خرج مع الخارجين اليها ، ودفع الى من رأى حاجته معه ديناراً ، فأخذه وقشقه وشمه وذاقه ، فلما لم يثر منه في هذه الحواس أثر نفع ولده ورده عليه ، اذ لم يستجز دفع ما ينفع به بما لا نفع له فيه » . ويؤكد البيروني قائلاً :

هذا لعمرى هو المعاملة الطبيعية التي بها حقيقة نظام العاش من المتمدنين للتعاون . وأما المعاملة الوضعية فعلى الاعم فيها بما اتصل بنا خبره من البلدان والممالك هي بالفلزات التي ازدانت في أعين الناس وشغف بها قلوبهم لصرف الله بلفظه اياها اليهم إصلاحاً بينهم لا لأنفسها .

وهنا تجادل مع الدكتور كلاوزينيك أحد أساتذة علم الاقتصاد في جامعة بون عن هذه النظرية وأخيراً اعترف هذا الاستاذ بعد دراسة الموضوع ملياً بالتشابه الذي بين نظرية البيروني ونظرية اقتصادي حديث يدعى كتاب Knapp وهكذا يدعي كذاب أن قيمة الذهب هي ليست من معدنه بل حسب الاعتبار ، أي كما يقول البيروني وضعاً لا طبعاً ^(١) .

وأخيراً يعالج البيروني مرضاً معضلاً في عالم الاجتماع لم يبرأ البشر منه رغمًا عن مضي العصور العديدة ، وذلك الداء العضال هو كثرة الاموال وعدم تركه للتداول ، لأن الحركة هي من ضرورات الحياة ، واذا وقفت تلك الحركة كانت أزمة اقتصادية هائلة . فلقد أنكر البيروني كثرة الاموال واستدل بالآيات القرآنية : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل

(١) راجع النظرية الحكومية للدرهم لكتاب :

Knapp, Staatl. Theorie des Geldes , München und Leipzig 1921, p. I. Herbert Doering, Die Geldtheorie seit Knapp [Greifswalder Staatswissenschaftl Abhdlg. Greifswald 1922, p.9] .

الله فيشرهم بعذاب أليم» . ويفسر البيروني سيفه سبيل الله فيها ما خلقهما له من انتفاع الناس بترددهما في أيديهم أثماً لمصالحهم . فيوجودهما كنزا انقطع انتفاع الخلق بهما وخولف أمر الله تعالى ومشيئته فيهما . ويعتقد البيروني ان الذهب والفضة إذا خرجا من معدنهما صارا كالزروع المحسودة والانعام المذبوحة لا يسوغ غير أكلها وارتقاها ، كذلك هذا المال لبس له بعد الاستباط غير الطبع عينا وورقا وترديده في الايدي . ولهذا السبب نفسه يرى البيروني حكمة تحريم الاواني الذهبية لأنها نصير غير منتفع بها في الوقت انها جعلت لاجل تسهيل التبادل في المصالح البشرية^(١).

فلا عجب بعد هذه المقدمات إذا بدأ البيروني يتكلم عن الفتوة والمروءة قائلا ان المروءة تقصر على الرجل في نفسه وذويه والفتوة لتعدي الى غيره . اذا ان حل الأزمات الاقتصادية لا يمكن ان يكون ماديا بوجه من الوجوه بل هو معنوي محض . فلو غرس في قلوب الناس معنى تلك المروءة والفتوة لما طاق بشر أن يرى غيره يتقلب من الآلام وهو وحده يتنعم بشقى الخيرات ، ولعلم ان الدرهم الذي بيده والمال الذي جمعه يجب أن يتداول ، يجب أن يشي ولا يقف في أرضه ، عند ذلك نشاهد سعادة لا تشابهها سعادة .

وإذا اتضح لنا ان كثيراً من علماء الاقتصاد في الزمن الحاضر يرون ان الازمة الاقتصادية العالمية الحالية ناشئة عن عدم معرفة التبادل في المنتجات تظهر لنا أهمية نظرية البيروني في عصرنا الحديث أيضاً . ومن يدقق المنتجات العالمية يرى ان هناك مواد كافية من طبيعية وصنعية للقيام بحاجة البشر ، ولا تحتاج الشعوب إلا إلى رجال عقلاء يدبرون تبادل المصالح المختلفة . وهنا (١) يستند البيروني على الشافعي في حكمة تحريم الأواني الذهبية والفضية (راجع كتاب الام ، بولاق ١٣٢١ هـ مختصر مرني ص ٤) . وكما اعتنى فقهاء المسلمين في قضية الاقتصاد الاخلاقي كذلك اعتنى في ذلك رجال الدين المسيحي في اوائل القرون المسيحية . راجع كتاب باول مومبرت عن تاريخ علم الاقتصاد :

Paul Mombert. Geschichte der Nationalökonomie, Jena 1927
p. 64 — 65.

نرى جلياً ان الداء الاجتماعي العضال الذي تنن من تحته الانسانية لا يزال هو
هو منذ الاجيال البعيدة .
هكذا يصرخ فينا حكيم . مثل البير . ني من تلك العصور الماضية منادياً:
ان الأزمات مهما تراءت لنا بمظهر مادي هي في الحقيقة أزمة روحية .

الدكتور

محمد يحيى الهاشمي

مدرس اللغة العربية في برلين



الاهتداء

الى قبر معاوية بن أبي سفيان برمسق

الروى التاريخي الذي تركه معاوية

لقد ترك معاوية منذ نشأته الى الحشر ، دويلاً تاريخياً « كأنما تداول سمع المرء أمثله العشر » . أما في منشأه : فقد روى لنا محمد بن سلام الجمحي صاحب الطبقات عن أبان بن عثمان قال : كان معاوية يبنى وهو غلام مع امه فعثر فقالت له : قم لا رفعك الله ، فقال لها اعراني سمعها : لم نقولين له هذا ؟ والله اني لأراه يسود قومه ، فقالت : لا رفعه الله إن لم يسد إلا قومه ! وقد ساد قومه كما توتست وهو فتى ، فان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قلده إمارة الشام وهو في مقتبل عمره ، وأعجب له مع ابن الخطاب وهو يجاوره . ففي الاستيعاب : قال عمر إذ دخل الشام ورأى معاوية : هذا كسرى العرب ، وكان قد تلقاه معاوية في موكب عظيم ، فلما دنا منه قال له : أنت صاحب الموكب العظيم ؟ قال :

— نعم يا أمير المؤمنين . قال عمر :

— مع ما يبلغني عنك من وقوف ذوي الحاجات ^(١) . قال معاوية :

— مع ما يبلغك من ذلك ! قال عمر :

— ولم تفعل هذا ؟ قال معاوية :

(١) لعل الاصل : بيائك .

— نحن بأرض جواسيس العدو بها كثير ، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما نرهبهم به ، فإن أمرتني فعلت ، وإن نهيتني انتهيت ، قال عمر :
 — ما أسألك عن شيء إلا تركتني في مثل رواجب الضرس ^(١) ، إن كان
 ما قلت حقاً إنه لرأي أربب ، وإن كان باطلاً إنه لخدعة أديب ! فقال معاوية :
 — فمرني يا أمير المؤمنين ، فقال عمر :

— لا أسرك ولا أنهاك ، وكان يسمع تحاورهما عمرو بن العاص فقال :
 — يا أمير المؤمنين ، ما أحسن ما صدر الفتى عما أوردته فيه ! فقال عمر :
 — لحسن مصادره وموارده جشنتاه ما جشنتاه !

ونحن إنما نشيد بذكر معاوية في هذه المقدمة من الوجهة القومية ،
 معتقدين أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أحق منه دينياً بالخلافة وأنه
 باعقاداتنا معشر السنة كان في خصوصته مع علي كرم الله وجهه مجتهداً مخطئاً
 وكان علي مصيباً ، وأن للمخطئ عن اجتهاد أجراً وللصائب أجرين ، وأنهما
 وأتباعهما قد رجعا إلى ربهم وهو أعلم بهم وسينبؤهم بما كانوا فيه يخفأون ،
 والمسلمون اليوم في حاجة حاقة إلى توحيد كلمتهم ، والعرب منهم خاصة
 أحوج ما يكونون اليوم إلى لم شعثهم وضم ما انتشر من الفتن ، ولحمد الله
 أن أوجد فينا بأخرة من أفاض الشيعة من ينصف معارضة من الوجهة القومية
 كما ينصفه السنة وأكثر ، فلولا معاوية وحسن سياسته ، وما ملأ الأسماع
 من أنباء حلمه وكياسته ، لما توطد للعرب ملك في ديار الشام . واستمع
 لشهادة ابن عباس فيه في تاريخ البخاري قال ابن عباس :

(١) أعلموا الفرس إذ لم نجد في التاج واللسان أن للضرس رواجب إنما هي للجباد
 على سبيل التمثيل فللفرس وغيرها من ذوات الحوافر رواجب ، قال في التاج :
 والرواجب من الحمار عروق مخارج صوته عن ابن الاعرابي وأنشد :
 طوى بطنه طول الطراد فأصبحت ثقلقل من طول الطراد رواجبه
 ولعله أراد تركتني في مثل رواجب الفرس اضطراباً ، نقول هذا إلى أن نهد
 نصاً واضحاً وقولاً شارحاً .

ما رأيت أحداً أحلى للهلك من معاوية .
ثم استمع لشهادة عبدالله بن عمر إذ يقول : ما رأيت أحداً أبعد رسول الله
(ص) أسود من معاوية ، فقيل له : فأبوكرو وعمر وعثمان وعلي (رض) فقال :
كانوا والله خيراً من معاوية ، وكان معاوية أسود منهم ، فيفضله عبدالله على أبيه عمر
في السيادة ، وأنصف بها من شهادة .

ولادة معاوية على الشام

ولاده عمر على الشام عند موت أخيه يزيد سنة تسع عشرة ، وكانت عمر
كتب الى يزيد بن أبي سفيان يأمره بغزو قيسارية فغزاها وبها بطارقة الروم
فحاصرها أياماً ، وكان معه بهذه الغزاة أخوه معاوية فتخلفه عليها ، وصار يزيد
الى دمشق فأقام معاوية على قيسارية حتى فتحها في شوال سنة ١٩ للهجرة .
وتوفي يزيد في ذي الحجة من ذلك العام في دمشق واستخلف أخاه معاوية
على عمله فكتب اليه عمر يعهده على ما كان يزيد من عمل الشام ورزقه الف
دينار في كل شهر فأقام أربع سنين ، ثم مات عمر وأقره عثمان عليها في اثني
عشرة سنة الى أن مات ولم يبايع عليها ، متهماً إياه بمقتل عثمان فكانت الفتنة
رحاربه خمس سنين ، واستقل بالشام ، ثم أضاف اليها مصر ، ثم تسحب بالخلافة
بعد الحكمين ، ثم استقل بالملك لما صالح الحسن رضوان الله عليه واجتمع الناس
بجامث فسموه عام الجماعة ، قال عبد الملك بن مروان : عاش ابن هند (يعني
معاوية) عشرين سنة أميراً وعشرين سنة خليفة .

كتاب الرومي

في دمشق ثلاثة من كتاب رسول الله (ص) زيد بن ثابت ، ومعاوية بن أبي
سفيان ، وشريحيل بن حنيفة ، وقد اختص معاوية من بينهم بمواسلة قبائل العرب
فكان لذلك من أعلم الناس بها وأقومهم بسياستها ، قال المدائني : كان زيد بن
ثابت يكتب الوحي وكان معاوية للنبي (ص) فيما بينه وبين العرب ، فهو بذلك

شبيه بمدير العشائر على عهد الحكومة الفيصلية ، أو رئيس المكتب العربي^(١) في حكومات هذا العصر ، وكأنه إنما اضطلع بالكتابة بدعوة النبي (ص) له كما كان يدعو لعماله ، نحن العرياض بن سارية - كما في الاسنيعاب - قال سمعت رسول الله (ص) يقول : اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب .

وفاة معاوية برمتى

وتوفي معاوية بدمشق يوم الخميس في النصف من رجب سنة ستين على الصحيح ، وهو ابن ٨٢ سنة وكان قد ادخر ليوم احتفاره ثوباً للنبي (ص) كان يلبسه على جلده ، وقلامه من أظفاره وقصاصة من شعره فقال لابنه وهو يحضر : إذا أنا مت فاجعل ذلك القميص دون كفني مما يلي جلدي وخذ ذلك الشعر والاذفار فاجعله في فمي وعلى عيني ومواضع السجود مني فان نفع شيء فذاك ، وإلا فان الله غفور رحيم ، ثم تمثل محضراً بهذا البيت الحكيم :
فهل من خالد إماماً هلكنا [وهل بالموت يا للناس عار

كيف اهتربت الى قبره الصحيح ؟

ذهبت عصر الجمعة في السابع من شوال ١٣٥٦ (١٠ كانون الاول - ديسمبر ١٩٣٧) في يوم صحت سماؤه وصح هواؤه للتنزه في حدائق دمشق الغناء مع صديقين رفيعين لأحدهما « بستان السيوفي » نسبة الى امرته يقع قبلي مقبرة باب الصغير - ولعلها أقدم مقابر دمشق - وكان من مخاصير الطرق أن نجتأ هذه المقبرة القديمة ، وكان من عادتي كلما مررت بها أن أسأل الحفارين بها عن قبر معاوية ، فلما مررنا بقبور آل البيت وتبركنا بزيارة قببهم رضوان الله عليهم ، تغاللت بين القبور المجاورة فرأيت حفاراً قبلي القبتين المنسوبتين لام حبيبة بنت أبي سفيان ولام سلمة من أزواج الرسول (ص) ، فسألته عن قبر

(1) Arab bureau.

معاوية فقال الحقني فالحقته وصاحباي على أن تري الى أن بلغنا حجرة من الابن مسقوفة بأعمدة من شجر الحور بابها الى الغرب ، وهي هنا واقعة قبلي المقبرة قريباً من مسلخ المدينة ، فأخرج الحفار مفتاحاً من الزنار وفتح الباب فدخلنا الحجرة فواجهنا قبراً على موضع الرأس منه عمامة خضراء من الحجر وفي واجهته الغربية حجران مكتوبان ، أعلاهما الواقع تحت العمامة بقدر دفنة كتاب كبير نقش عليه في السطر الأعلى ما نصه : « قبر سيدنا معاوية رضي الله عنه » وتحتة : « جدد هذا المقام صاحب الخيرات اونوى (كذا) الحاج محمد باشا محافظ الشام سنة ١١١٥ » وهو محمد باشا العظمي وكان مولعاً باهداء الكتب والمصاحف الى المساجد ، والحجر الثاني من تحتة قطعة يبلغ ارتفاعها الذراع من عمود من الحجر المزني الصلد به بعض شقوق وتخطيط زبر عليه ما نصه والسطر الأعلى لا يقرأ :

« هذا قبر خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان كاتب الوحي ورفيف رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

ثم خرجت من الحجرة وبجئت عن القبور المجاورة فشاهدت قبراً متصلاً من جانبه الشمالي بجدار الحجرة الجنوبي وله شاهدتان فائتان : الغربية منها عليها خط كوفي نصعب على عجل قراءتها ، والشرقية أصله حجراً منها وأوضح كتابة عليها ما نصه :

« هذا ضريح الفاضل الكبير والعلامة النحرير صاحب التأليف الجامعة والتصانيف النافعة ولي الله من غير ارتياب ومن الدعاء عند قبره مستجاب سيدنا الشيخ أبو الفتح نصر بن ابراهيم بن داود المقدسي قدس سره العزيز سنة ٤٩٠ »

وهناك قبور أخرى لعلماء مشهورين منهم في القرن السادس خطيب دمشق وامامها وفتيها عبد الملك بن زهد التغلبي الدواحي من أئمة الشافعية المؤلفين توفي سنة ٥٩٨ للهجرة ، والى جانبه قبر أبي البيان محمد القرشي الدمشقي شيخ الطائفة البيانية كان شاعراً واماماً في اللغة وفقهياً مؤلفاً وزاهداً صاحب أحوال ذكره

ابن كثير في الطبقات توفي سنة ٥٩٠ هـ الى قبور قديمة اخرى -

أما عبارة (خال المؤمنين) في شاهدة معاوية فلأن اخته السيدة ام حبيبة زوج النبي (ص) هي أم المؤمنين فهو خال المؤمنين ، وقد رجعتنا من المقبرة مع الغروب الى منازلنا ، وأخبرت ثاني يوم صديقي مدير الآثار في دمشق الامير جعفر الحسيني حفيد الامير عبد القادر الكبير وأبناؤه باهتدائي إلى قبر معاوية وإلى ما حوله من القبور القديمة ، فسر لهذا النبا الأثري التاريخي العظيم ونهض معي لزيارته فذهبتنا وقت الزوال الى المقبرة ودخلنا الحجرة وشاهد الحجرين لان علماء الآثار لا يحفلون كثيراً بالاقوال الشائعة ما لم يروا أثراً ناطقاً ودليلاً صادقاً ، ثم أرهت قبر الامام المقدسي الملاصق للحجرة وما حوله من القبور القديمة التي تبلغ بمجموعها نحو عشرة قبور فقرأنا الشواهد معاً ، وكان بعض التواريخ مدفونة في الارض فكشف لنا الحفار عنها حتى قرأناها وكتبناها ما قرأناه ورجعنا أدراجنا ، ثم بحثنا في شذرات الذهب عن ترجمة نصر بن ابراهيم المقدسي فوجدنا له ترجمة عالية فقال لي مدير الآثار :

لو وجدنا في هذه الترجمة ذكراً لدفنه قرب معاوية لزال كل شك ، وإذا كان من أئمة الشافعية راجعنا ترجمته في كتاب (تهذيب الاسماء والحلقات) للامام النووي ، فوجدناه لم يترجم لنصر غيره ، ورأيتاه يحمله الإجلال كله وبذكر انه من المرجحين في المذهب الشافعي وانه في كتابه (الحجّة على من ترك الحجّة) لم يذكر في المسائل التي قيل فيها قولان إلا قولاً واحداً رجع به ، وذكر ان الامام الغزالي أخذ عنه وانتفع بصحبته ، وانه سمع من الشيوخ يستجاب الدعاء عنده يوم السبت ، كما كتب على الشاهدة ، فدعوت الله والامير جعفر كثيراً لان زيارتنا له كانت يوم السبت ، ثم قال الامام النووي في تهذيبه ^(١) ما نصه :

« وقبره بباب الصغير يجب قبر معاوية وأبي الدرداء رضي الله عنهم

يكثّر الناس زيارته والدعاء عنده ، ولم يزل النساء يزرن قبره إلى يوم الناس هذا للتبرّك به والدعاء عنده يتوارثن جيلاً بعد جيل معرفة قبره وما خصّ به من البركة ، وقد جهل جبل الشيوخ حتى الشافعية منهم قبره ، كما جهل الناس بدمشق قبر معاوية إلا بعض الحفارين بباب الصغير والعجائز من النساء اللواتي يزرن قبر نصر المقدسي رحمه الله .

ولما قرأنا تنويه الامام النووي بدفن المقدسي بجنب قبر معاوية وليس بين القبرين غير نحو مترين قال مدير الآثار الأمير جعفر : الآن حصص الحق ، وهو دليل علمي قاطع كما أن الحجرين على القبر دليل أثري نافع ، وفي دمشق قبران آخران منسوبان لمعاوية أحدهما في محلة الشرفاء من حارة النقاشات تحت قبة أيوبية العهد يتولون إنه قبر معاوية الكبير وقد زرته مرتين وليس في القبة ولا على القبر شيء من الكتابة ، وفي زقاق يعرف بزقاق معاوية قبر في زاوية قادربة فيها كثير من الطبول والمسابع والدفوف مغطى بالجوخ الأخضر ينسب لمعاوية الصغير ، وليس في هذه الزاوية أثر كتابي يدل على المدفون ، هذا هو الشائع اليوم بين جمهرة الشاميين ، وقد غرّ هذا الشائم الحافظ ابن طولون إذ يقول في كتابه ببجة الانام : « في الحائط القبلي من جامع دمشق في قصر الأمارة الخضراء قبر معاوية وهو الذي تحياه العامة قبر هود عليه السلام » فلعله يعني القبر المنسوب إلى معاوية الصغير ، وقد أجمع سائر المؤرخين أن معاوية مدفون بقبرة باب الصغير ، منهم ابن عساكر في تاريخه والنووي في تهذيبه وابن الحوراني في رسالته « الاشارات إلى أماكن الزيارات » وكثيراً ما يترجمون مشاهير العلماء وينصون على انهم دفنوا قرب معاوية بباب الصغير كما فعل النعماني في كتابه « الدارس في المدارس » في ترجمة الامام شمس الدين الصرخدي المتوفى سنة ٧٩٢ فقد قال ما نصه : « ودفن بباب الصغير بالقرب من معاوية رضي الله عنه » .

وخلاصة البحث والتقصي أنه لا يشك أحد من المؤرخين أن أول ملوك العرب معاوية بن أبي سفيان توفي ودفن في دمشق ، وليس من شك أنه في

مقبرة باب الصغير ، وقد اطمأن قلب مدير الآثار العلامة وقايي بما ذكرته من الدليلين الأثري والعلمي انه القبر الذي اهديت اليه وقرأنا حجره .

وفي اليوم الثالث خفت مغني لزيارته العلامة الدراكة وزير المعارف السيد عبد الرحمن الكيالي الذي نهض بمعارف الشام نهضة ماثورة مشكورة مع السيد عارف النكدي مدير العدل وعضو مجمعنا العلمي ، وفي اليوم الرابع بشرت صديقي الاديب البارع الكبير السيد خليل مردم بك عضو مجمعنا بذلك وكنا تعبنا معاً كثيراً في التنقيب عن قبره ، فذهبنا إلى باب الصغير وقبل دخول المقبرة دخانا القبة الغورية القائمة في مدفن آل مردم ، وبجانها قبتان مهدومتان فيها قبور يقال ان بها قبراً لمعاوية فلم نجد من الكتابة ما يدل على ذلك وإنما وجدنا كتابة تدل على دفن أمير شر كسي يعرف باسم بهادر المالكي الناصري ، ثم سرنا إلى قبر معاوية زرناء وجاره المقدسي وما حولها من قبور العلماء والصالحين فجزم مثلنا بأن القبر الصحيح الذي اهديت بأخرة اليه هو قبر خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان كاتب الوحي ورديف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عز الدين القنوشي



المصائب العام، بوفاة السيد الامام

محمد رشيد رضا

١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ

- ٣ -

انظاره على رجال الدولة والمقام

أوتي السيد الفقيد من نور البصيرة ، وسعة العلم ، وشجاعة النقاب ، وظهور
الحجة ، وقوة الأسن ، ما لم يؤته إلا الأقلون في كل عصر ، وقد كان رحمه
الله سربيع الخاطر ، حر البديهة ، قوي الجواب ، مفحماً ملزماً فيه ، لا يبالي في
سبيل الحق سطوة حاكم ، ولا يخاف في الله لومة لائم ، وانكازه على الملوك ،
والامراء ، ورؤساء الحكومات ، ورجال الدول والامم ، أمر مشهور يعرفه كل
من اطلع على مناره وقرأ مقالاته ومناظراته فيه .

واذا كان الله تعالى أعطي الولاية بشطريها - الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر - للرجال والنساء على السواء فقال : « المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء
بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » وكان النساء في صدر الاسلام
يعلمن هذا ويعملن به ، فقد سمعت امرأة من قریش أمير المؤمنين عمر الفاروق
يخطب على منبر النبي (ص) ويمنع أن تزيد مهور النساء على أربعائة درهم ،

فاحتجت عليه بقوله تعالى : « وآتيتهم أحداهن قطاراً » فقال اللهم غفراً ، كل الناس أفقه من عمر .

قلنا إذا كانت النساء ترد على الخلفاء في ذلك العهد عملاً بهذه الآية الكريمة فهل يستكثر على صاحب المنار وهو امام في الدين والعلم أن ينكر على ملوك عصرنا فمن دونهم من الحكام ؟؟

كان له في صباه رحمه الله مع رجال العهد العثماني مواقف دلت على ثبات جنانه ، وقوة ايمانه ، وشدة صدقه وإخلاصه . فمن ذلك أن أول خطاب عام ألقاه في طرابلس الشام ، بحضور المتصرف التركي وهو الحاكم الاداري العام (حسن باشا بن سامي باشا شيخ وزراء الدولة في عصره) والعلماء وجميع رؤساء الحكومة وسائر الوجهاء :

شبه في خطابه الامة بالفرد منها ، والجماعات العاملة للصالح العامة فيها — ومنهم رجال الحكومة والدولة بأعضاء الفرد من رئيسية كالدماغ والقلب ، ومشاعر وآلات ، وقال : إنهم يجب أن يكونوا سواء في الحقوق العامة والاحترام ، وإن كانوا يتفاضلون في العرف والاعتبار ، وشبه العاملين الذين لا يعملون عملاً نافعاً لأنهم ويحققرون الطبقات الدنيا من العاملين بقوله : « ولا التفات إلى سفهاء الاحلام ، المتكبرين بالأوهام ، الذين يحترقون الزراع والصناع ، فإنما مثل الفريقين كالأعمى والأصم والسميع والبصير ، والنسبة بينهما كالنسبة بين الأيدي والأرجل في البنية ، وبين زوائد الأظافر والشعور لو كانوا يعقلون ! » .

وقد خشي عليه استأذنه الجسر من ذلك الخطاب الجريء ، ومن الحرية المفرطة التي ظهرت فيه ، في بلاد مستعبدة لا تملك حق القول للصالح العامة ، بلامة العمل !! ولكن المتصرف كان من كبار أحرار الترك أولي التربية العالية ، وقد أثنى على الفقيد وقال : إنني أفتخر اليوم بأن أعد نفسي طرابلسياً لهذه الحكمة التي سمعتها من هذا الشاب ! وقد ذكر في كتاب المنار والأزهر أمثلة كثيرة لجرائته وشجاعته رحمه الله .

اصلاح في سولته قبل هجرته الى مصر

يستسهل من لا خبرة له ولا درية أس إصلاح العامة مع أنه مطلب عظيم ، لا يصلح له إلا كل من اتسعت معارفه ، وكثرت تجاربه ، فإن إصلاح ما طرأ من الخلل والفساد على الناس في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم وآدابهم من أشق الأمور لا سيما إذا تمكنت الأهواء من النفوس ، وطال عليها الزمن .

الواعظ الحكيم هو الذي يخاطب الناس بلسانهم ، ويتحرى من أساليب القول ما يرى انه أدنى إلى اقتناعهم ، وقد كان رسول الله (ص) ينزل الناس منازلهم ، ويخاطبهم على قدر عقولهم ، ويقول : كلموا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟ فالمدكر أو الواعظ أو المرشد هو كما وصفه بعض الاجلاء مأخضاً : حافظ للحدود الله ، قائم على ارشاد العقول ، وتهذيب النفوس ، وتصحيح المعتقدات ، وإبانة سر العبادات وإماطة ما غشي الأفهام القاصرة من غياهب الجهالة ، وترات الضلالة ، واقف على مقاصد التشريع وحكمته ، عالم بمواضع الخلاف والوفاق ، حائس لسامعية بما يلأنهم من الاحكام ، بل هو العامل الاكبر في إخراج الناس من ظلمات الجهالة الى نور العلم ، وتحذيرهم من رق الخرافات والوهم ، فالعالم كالسراج إن لم ينتفع بضوئه فلا فائدة في وجوده بل لا يكون العالم عالماً حتى يظهر أثر علمه في قومه إذ ليس مسؤولاً عن نفسه وحدها ، بل عن عشيرته وامته . أقول من لاحظ هذه الأوصاف ، وعرف ما قام به الفقيه العظيم من الاعمال ، وجدها منطبقة عليه تمام الانطباق واليك عمله في بلده :

بعد أن نال المترجم شهادة العالمية في مدينة طرابلس الشام ، عاد الى بلده القامون ، وأخذ يقرأ درساً في المسجد يعظ الناس وينذركم فيه ، ويذهب الى مقهى لهم يجلسون فيه فيجمعهم ويخطبهم ، وكان فيهم أنراد تاركون للصلاة واستأنهم ، وجعل للنساء درساً خاصاً في دارهم القديمة ، وألزمهن تغيير زينهن بما

هو أستر وأطهر ، فصرن يحافظن على الصلوات الخمس ، وحسنت حالهن في النظافة وفي معاشرة أزواجهن ، وأما نساء أسرته المباركة (بيت المشايخ) فكان كلهن يصلين على معرفة ، اذ كن متفقهات في دينهن محتجبات كأهل المدن في زين ، متفوقات في تدينهن وأديبن ، فكان يقرأ لهن بعض كتب الادب أو التاريخ أو المواعظ . وجملة القول : انه رحمه الله جدد عهداً في القلموت بالدعوة الاسلامية التي عمم الرجال والنساء والبنين والبنات ، وهكذا فليمكن العالم المرشد .

يذكر الفقيه أن المعلم الاول الذي كان له أكبر التأثير في دينه وأخلاقه وعلمه وعمله هو إحياء علوم الدين لحجة الاسلام الغزالي ، فهو من بعد أن طالعه كله لنفسه ، وأكثر من مراجعة بعض فصوله وأبوابه ، صار يقرأه درساً للناس في المسجد ويعظهم به ، والحق أن إحياء هو كتاب وعظ وإرشاد ، يبحث في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق ، فيعلم العقول ، ويربي النفوس ، ويغذيها بآيات الحقائق ، ويحليها بالأخلاق الطاهرة ، ولا يكاد يوجد بين أيدي الواعظين كتاب من كتب الدين صالح لوعظ العوام من كل وجه ، كافل بما يحتاجون اليه من المسائل الدينية ، والشؤون المعاشية ، مثل هذا الكتاب (على شرط تجرده من الزوائد) فهو يذكر الآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة في المباحث المعقودة في الباب ، ويردّها ببسط المراد من تلك الآيات والأحاديث ، ثم يذكر مرامها ، وحكم الأحكام وأسرارها ولطائفها ، ويضرب للناس الأمثال من سير بعض مشاهير الرجال وأخلاقهم . وقد كن شيخنا الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله يقول : « ان من أنعم ما يقتبس منه موعظة المؤمنين ، مواضع تنتخب من إحياء علوم الدين » . ثم اتفق أن تذاكر مع الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده - أيام كن في ضيافته بمصر هو وصديقه الاكبر الاستاذ الجد الشيخ عبد الرزاق البيطار عام (١٣٢١) واستطلع رأيه في هذا الموضوع ، فقال الاستاذ المفتي متأسفاً : « إن هذا الموضوع لم يصنف فيه ،

إلا أن أحسن ما لدينا لذلك هو الإحياء بعد تجرّده « فقد استأذنا القاسمي ذلك من بدائع الموافقات ، واختصره في مجلد واحد سماه (موعظة المؤمنين مرت إحياء علوم الدين) فمن قرأه وجد موعظته حسنة ، ودعوته حكيمة ، وحجته واضحة ، وتأثيره كبيراً .

رسول شعر الفقير وكتابه في طور جدير

نشأ الفقير مولماً بمطالعة كتب التصوف والادب ، ونظم الشعر في سن الحداثة ، وكان يحفظ الجيد منه ، ويميز بالسابقة بين الموزون وغيره ، وقد رثى شيوخه في علم الدين ، وأصدقاء والده وأسرته ، ومن أجلمهم شيخ الشيوخ الشيخ محمود نسابه ، والاستاذ الاكبر الشيخ عبد الغني الرافعي ، والمرشد الاكبر الشيخ أبي الحسن محمد السقاوقجي ، ولم يرث من وجهاء الدنيا إلا الامير أحمد حسان الايوبي ، صديق والده وأكبر وجهاء الكورة في جبل لبنان ، فقد نظم فيه مرثية دالية اشتهرت حتى كادت تذكر مع مرثية المعري الدالية في فلسفتها ، ومرثية الشريف الرضي الدالية في تعظيم قدر المرثي بها . وقد قال في مطلعها^(١) :

إبّ المنية غاية الميلاد والنعش مثل المهل للاولاد!

والله قد برأ الخلائق للبقا بعد افنا وزيارة الاحداد

والموت باب النشأة الاخرى لنا وبها كمال الخلق والايجاد

ثم قال بعد أبيات في وجوب السرور بالموت واستنكار الحزن والحداد ، ومضارهما وقبح عاداتهما :

أطبيعة ذا الحزن ليس يشذعن ناموسه فرد من الافراد

أم ذاك بما أوجبه شرائع الأديان من هدي لنا ورشاد ؟

أم ذلك العقل السليم قضى على كل الشعوب بهذه الاصناد ؟

كلا فليس الامر ضربة لازب ايكنه ضرب من المعتاد

فالخلع مرابيل العوائد إن تكن ليست بنهج العقل ذات سداد

وتقلد الحزم الشريف كصارم فكما تنافح جيشها بجهاد
فانظر لموت الناس بالعين التي ترنو بها لولادة الاولاد
هاتيك مبدؤنا وهذا تمنا طرفان مستويان للتقاد
بل آخر الطرفين خيرهما فخذ بالاعتبار به والاستعداد

أقول : إن حزن القلوب وسكب الدموع على الاهل والمحبين أمر طبيعي لا يكاد يشذ عنه فرد من الافراد ، وفي الحديث « أن العين لتدمع ، وإن القلب ليحزن » وإن السيد الامام كان أشد الناس فجيعة بفقد استاذہ الامام (رحمهما الله تعالى) وإنما غرضه ان هذه القوافل انني ترحل عن هذه المنازل هي أسمى من أن تزول في التراب زوال الهشيم من النبات ، وإن هذه الارض ليست دار إقامة دائمة ، ولكنها ميدان واسع المدى مشائي الاطراف أوجده الحكيم المبدع وجعل ماعلى وجهه زينة له ، ثم سخره للسلال البشريه ودفعهم للعمل فيه ومكنهم من ذلك بما أودع فيهم من القوى الظاهرة والباطنة ، ثم هو ينشئهم النشأة الآخرة فيجازيهم بما كانوا يعملون : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون » ؟ « أيجيب الانسان أن يترك سدى » ؟ وهذا هو معنى قوله :

بل آخر الطرفين خيرهما فخذ بالاعتبار به والاستعداد

ثم انه بعد اطلاعه على شؤون الاجتماع ، وسياسة العصر ، وتأثير مجالس المرحوم والده مع أصدقائه وقراءة الجرائد التي كانت تأتيه (وعنده بعض أعداد جريدة العروة الوثقى) ثم بتأثير صحبة استاذہ العلامة الشيخ حسين الجسر ، ومطالعة المجلات العلمية كالمقتطف والطبيب ، مالت نفسه لإدخال المعاني العصرية في الشعر ، فكان مما نظم في ذلك القصيدة التي سميت (قصيدة الجاذبية) وقد نشر أبحاثاً منها في المجلد الاول من المنار ، والقصيدة الجمالية التي خاطب بها السيد جمال الدين الافغاني في السنة التي جاء بها الاستانة ، ثم نشرها في المجلد الثاني من المنار ، والقصيدة الشرقية التي عاتب بها الشرق على تأخره عن الغرب .

وكان آخر ما نظمه من الشعر (المقصورة الرشيدية) التي عارض بها مقصورة ابن دريد ، وكان سبب نظمها اقتراح صنوه وزميله في طلب العلم ، ومذاكرات الادب ، الشيخ عبد القادر المغربي ، أن ينظم مقصورة يهينه فيها بزفافه ، فنظم مائة بيت ونيف ، ثم بدا له أن يتمها في معارضته الدريدية بإبداعها معاني كثيرة في فلسفة هذا العصر ، وفنون الادب والاجتماع المناسبة له ، ولا سيما الاصلاح الاسلامي الذي وقف كل حياته على السعي له ، ثم هاجر الى مصر لأجله (١) .

يتبع:

محمد بن عبد الله البيطا.



آراء وأخبار

هدية كريمة لمخطوطات قديمة

امتازت دار الكتب الظاهرية على سائر دور الكتب المعروفة بنوادير مخطوطاتها القديمة في الحديث خاصة ، وبعضها بخطوط مؤلفيها ، والمخطوطات المخدمة تحفظ بقيمتها العلمية وإن طبعت ، لأنها تعين على تصحيح اخواتها في البلدان الاخرى قبل طبعا : إما بمعارضتهن عليها أو على نسخ خطية أو شمسية عنها ، وكثيراً ما يضطر العلماء الباحثون أو الطلاب الدارسون إلى مقابلة المطبوعة بالمخطوطة ، ولا سيما أن أكثر ما طبع في الشرق للتجارة كان طبعه بعيداً عن الضبط والانتقان ، فهو في حاجة حاقة إلى المعارضة ليتمكن القارئ من فهم النصوص ، وجل ما طبع كالعقد الفرهد وزهر الآداب ووفيات الأعيان وغيرها لا يزال في حاجة إلى إعادة طبعه لكثرة ما يشوب هذه المطبوعات من التصحيف والتحريف .

من أجل ذلك كانت هدايا المخطوطات أسنى قيمة وأجل خطراً من المطبوعات ، ومن هذه الهدايا النفيسة للمخطوطات هدية كريمة لعضو مجمعنا العلامة الشيخ محمد بييجة البيطار تشتمل على أربعة وعشرين مجلداً مخطوطاً كتبت في القرنين السابع والثامن : منها ١٧ مجلداً من صحيح البخاري ، وفي آخر بعضها سماعات للشيوخ وقراءات مفيدة ، ويتحلى بعضها بما فيه من العلام الدالة على الانتقان كعلامة الحوي وعلامة المستملي وعلامة مجموعها وعلامة

أبي الهيثم ، وبقية المجلدات في الفقه والأصول والكلام ، وفي بعضها حواش وتعليقات كثيرة ، فجزى الله الاستاذ البيطار رافع راية السلفية في هذه الديار عن السلف والخلف خيرآ ، ومن الحق وعرفان الجميل أن ننشر جريدته بأسماء كتب هديته الكريمة إلى دار الكتب الظاهرية وفي نشرها فوائد للعلماء والباحثين وهي :

- ١ - الجزء الأول من صحيح البخاري مشكول كله وعليه تعليقات مفيدة آخره : باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله إلى قوله : كمل الجزء الأول من صحيح البخاري (ولم يعلم تاريخ نسخه) .
- ٢ - نسخة ثانية كتب في أولها : الجزء الأول من صحيح البخاري رحمه الله تعالى ورضي عنه آخره كتاب الهبة وهو مخروم من آخره .
- ٣ - جزء كبير جداً وفيه كراريس كثيرة شتى تحتاج إلى جمع وترتيب وفي آخره سماعات الشيوخ وكتب في القرن الثامن .
- ٤ - الجزء الأول من صحيح البخاري كتب على جلده : بينه وبين ما بعده نقص نحو كراس وعليه سماع في القرن الثامن .
- ٥ - الجزء الثالث (كتاب) الهبة مخروم من آخره .
- ٦ - الجزء الثالث أيضاً أوله اقتربت بسم الله الرحمن الرحيم قال : مجاهد : مستمر : ذاهب وآخره : سورة الأنبياء عليهم السلام وهو مخروم من أوله وآخره .
- ٧ - الجزء الرابع من الصحيح مكتوب في أوله النصف الثاني من الربع الثاني كتب في آخره : آخر الجزء الثاني أنجزه كتابة محمد بن علي بن محمد يعرف بالحمامي رحمه الله وكان ذلك يوم الاربعاء خامس وعشرين وثمان مائة للهجرة النبوية .
- ٨ - الجزء الثاني وأوله : باب القراءة في المغرب وآخره : باب غسل الخلق وهو بخط محمد بن علي الحمامي المتقدم في ٢٥ شوال سنة ٨١٩ هـ وهو مقروء على الشيوخ ومضبوط بالشكل .
- ٩ - الجزء الخامس أوله قوله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم : وأقيموا الوزن .

بالقسط» وكتب في آخره : يتلوه إن شاء الله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم : كتاب الدعوات وذلك في شهر سنة ٨٦٣ . وفي آخره الحمد لله : بلغ الشيخ كمال الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح أعزه الله تعالى قراءة في شهر ربيع الاول سنة ٨٩٦ بمدرسة الشيخ أبي عمر رحمه الله تعالى .

١٠- الجزء السادس من الجامع الصحيح . أوله : بسم الله الرحمن الرحيم باب سورة المائدة . آخره باب قول الرجل لصاحبه هل أعزمت الليلة ؟ الخ . وكان الفراغ منه علي يد الفقير المعترف بالتقصير يوسف بن محمد بن أحمد بن الصيداوي ولم يؤرخ وكتب : يتلوه في السابع كتاب الطلاق .

١١- الجزء السادس أيضاً أوله بسم الله الرحمن الرحيم باب مناقب عمارة آخره : يتلوه كتاب التفسير بخط إبراهيم بن ماجد بن عبد الله الرملي البزدي . وهي نسخة مصححة وعليها سماعات وقراءات .

١٢- الجزء السابع وقف الفقير أبو بكر بن سعيد الطراباسي . أوله كتاب التفسير باب ما جاء في فاتحة الكتاب وسميت ام الكتاب لانه يبدأ بكتابتها في المصاحف ويبدأ بقراءتها في الصلاة . وآخره : باب من لم يستطع الباءة فليصم ويتلوه باب كثرة النساء . وفي ذيله : الحمد لله بلغ صاحبه شمس الدين أبو عبد الله محمد بن شرف الدين سعيد ابن السقا الطراباسي نزيل دمشق أعزه الله قراءة في مجالس آخرها سنة أربعين وثمانمائة .

١٣- الظاهر أنه الجزء السادس وكتب في أول (ص) منه تاسع التاسع وأوله كتاب الدعوات . وقول الله تعالى : « ادعوني أستجب لكم » . وآخره : باب الرجم بالمصلى : آخر ج ٩ يتلوه باب من أصاب ذنباً دون الحد وهو بخط البزدي المقيم بدمشق الرملي .

١٤- الجزء التاسع من صحيح البخاري وقف أحمد بن يحيى النجدية والمحل مدرسة أبي عمر في الصالحية . أوله : باب ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً . وآخره : باب المتعة التي لم يفرض لها . ويتلوه (كتاب النفقات) نهار الجمعة سابع عشر شوال سنة ٨٣١ .

١٥- الجزء العاشر أوله : باب من أصاب ذنباً دون الحد فأخبر الإمام فلا عقوبة عليه بعد التوبة إذا جاء مستقيماً الخ ٠٠ على يد إبراهيم بن ماجد بن عبدالله الرملي المقيم يومئذ بدمشق المحروسة ٢٦ شعبان سنة ٨٣٣ . آخره باب قول الله تعالى وتضع اوزين الى قوله . ص : كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحانه الله وبحمده سبحانه الله العظيم .
أخرج العاشر على يد إبراهيم الرملي سنة ٨٣٢ بلغ سماع الشيخ الطرابلسي أبو عبدالله محمد بن الشيخ سعيد الطرابلسي .

بالقطع الوسط

١٦- الجزآن الثاني عشر من كتاب الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه . أوله : بسم الله الرحمن الرحيم باب قصة فاطمة بنت قيس . وفي آخره : بلغ مقابلة والله الحمد والمثنة . وقد فرغ من نسخه يوسف ابن محمد الحنفي الصالحى بدمشق بكرة الثلثا عشر جمادى الآخرة سنة ٧٩٨ .
١٧- جزء من البخاري بقطع الوسط أوله كتاب الاستئذان باب بدء السلام وفي أوله ما يأتي :

علامة الحموي علامة المستعالي علامة مجموعهما علامة أبي الهيثم
وقف المرحوم الشيخ حسن بن خادم الجديقي على مدرسة شيخ الاسلام أبي عمر بالصالحية قدس الله روحه . وفي آخره : كتاب الهبة وفضلها والتعريض عليها الخ . آخر المجلد الثاني من صحيح البخاري يتلوه في أول الثالث : باب من استوهب من أصحابه شيئاً . وكتب في آخر صفحة : بلغ وما قبله مقابلة متقنة محررة حسب الجهد والطلاقة على نسخة الجامع الاموي المعروفة بنسخة الشيخ عماد الدين بن السراج على يد أفقر عباد الله الى رحمته ومغفرته محمد بن زكريا الحواري .

١٨- شرح المنهج للقاضي زكريا . مجلد ضخيم بالقطع الوسط مخروم

آخروه وعاليه حواش وتعليقات كثيرة .

١٩- كتاب تنوير الابصار وجامع البحار تأليف الشيخ شمس الدين محمد

ابن الشيخ شهاب الدين بن تمرناش الحنفي كتب بعد الألف (عقيدة الغيب) .

٢٠- جمع الجوامع وشرحه للمحلى في الاصول كتب بعد الألف .

٢١- الوقاية لصدر الشريعة .

٢٢- شرح السنوسية ٢٣- شرح الجوهرة ٢٤- حاشية الخيالي على

العقائد .

حول تاريخ دمشق لابن عساكر

سأل الكنتي المعروف بدمشق الاستاذ أحمد عبيد المستشرق الكبير
مالم الكرنكوي السؤال الآتي :

هل في المتحفه البريطانيه نسخه من تاريخ دمشق لابن عساكر تكمل
لخرم الذي وقع في النسخه المحفوظة في الظاهرية ؟ فأجابه بما نصه :

انه ليست في بلادنا نسخه من هذا الجزء ، ولكني أعلم أنه في خزائن
الاستانة عدة نسخ وهي هذه :

١- في خزانة عاطف أفندي رقم ٨١٥ وهي المجلد الرابع من نسخة كاملة
في ٧ مجلدات كتبت سنة ١١٥٥ تشمل على ٦٥٤ ورقة ، والترجمة الاولى : أبو
بكر عبدالله بن بشر والاخيرة ترجمة عبيدة بن أشعب .

٢- خزانة دأما دابراهيم باشا رقم ٨٧٦ وهي المجلد الخامس من ١١ مجلدًا
كتبت سنة ١١٠٤ بتتدى بن ترجمة حاصم بن عبدالله الى عبدالله بن محمد بن وداد .

٣- خزانة دأما دابراهيم باشا رقم ٨٧٧ المجلد السادس من ترجمة عبدالله بن
محمد بن سعيد الى ترجمة عبيد بن أحمد بن عبيد .

٤- طوب فابوسراي في ١٢ مجلد آ رقم ٣٨٨٧ (المجلدات كلها تحت رقم واحد :
 ج ٥ من ترجمة شيبان بن الحارث الخ الى ترجمة عبدالله بن العباس بن هاشم ٤٨٦ ورقة
 ج ٦ من ترجمة عبدالله بن عبد الرحمن بن يزيد الى ترجمة عبد الرحمن بن عمر الك ٤٨١ ورقة
 ج ٧ من ترجمة عبد الرحمن بن عبدالله بن المثنى الى ترجمة عدي بن حاتم الجوار ٤٧١
 ورقة . لا تاريخ لكتابة هذه المجلدات ، وقد وجد فيها خط مال كها في سنة ١١١٥ .
 لو كتبتم الى الاستاذ ريتز لا أشك بأنه ينجوكم عن اجود نسخة إذ ليس
 لي معرفة أي النسخ أجود ، ولكن يسبق إلى ظني أن النسخة المحفوظة في
 السراي تفوق الاخرين ، ويمكن ان الاستاذ ريتز يجعل علي أخذ تصاوير
 شمسية للتراجم التي سقطت عن النسخة الظاهرية لأنني حصلت بواسطته
 الفوطوغرافات عن عدة كتب كبار لتطبع بعد التهديب بمطبعة دائرة المعارف
 الواقعة في حيدرآباد من بلاد الهند .

أما النسخ الموجودة في لندرة فقد نشرت بيان ذلك في مجلة المجمع العلمي
 منذ سنين وفي المتحف البريطاني رقم ٥٣٨٩٧٣ نسخة في غاية الجودة بقلم المؤرخ
 الشهير محمد يوسف البرازلي بخط أندلسي كتبها في دمشق سنة ٦١٤ بتدبير
 بترجمة عبد الواحد زهد الى ترجمة عبيدة بن أشعب .

ونسخة ثانية بقلم القاسم ابن المؤلف رقم ٩٠٥٣ قد نزع الخائن الذي سرق
 هذه النسخة من إحدى خزائن دمشق الورقة الاولى وهي من ترجمة لبطة
 ابن الفرزدق الى ترجمة محمد بن ادريس الشافعي الامام وهي صعبة القراءة
 لرداء خط القاسم ، وفيها في الاول كل جزء سماع العلماء بينهم البرازلي المذكور .
 نسخة ثالثة قديمة رقم ٩٢٦٠ من ترجمة سعيد بن عطية الى ترجمة سمالك
 ابن الاحوص . وهذا المجلد مطبوع .

نسخة رابعة رقم ٣٣٥٠ من ترجمة أبي مجاز لاحق بن حميد الى ترجمة يزيد
 ابن الأعم وهو يزيد بن عمرو كتب سنة ٥٠٠ وسبعائة .

نسخة خامسة رقم ٧٣٤٨ من ترجمة عمر بن الخطاب الى ترجمة عمرو بن
 بحر الجاحظ ثم نسختان رديتان في عنوان الاولى ٠٠٠ الجزء الاول (كذا) من

تاريخ ابن عساكر ، ولكن هي من أواخر التأليف إذ فيها الكنى واللقاب ،
والثانية تبتدىء بترجمة الفرزدق الشاعر المشهور ولكن الكاتب الجاهل كتب
فرودق بالواو كما ترى ، والترجمة الأخيرة ترجمة حواء أم البشر ، ولا فائدة في
النظر إلى هاتين النسختين لكثرة الاغلاط فيهما . . .

خريجو الزراعة في مصر

من أخبار مصر أن مصلحة الاملاك الاميرية انتهت في هذا الشهر من بحث
مشروع إقطاع الأراضي الزراعية في مصر لخريجي كليات الزراعة والمدارس
الزراعية المتوسطة ، ويقضي هذا المشروع المفيد بإعطاء خريج كلية الزراعة
٦٠ فداناً ، وخريج الزراعة المتوسطة ٤٠ فداناً بشروط سهلة على أن تؤدى
أثمان الأرضين في آجال طويلة .

ولعل هذا المشروع من أنعم المشاريع الزراعية وأتمها بركة على الأرض
وزارعها ، ولا سيما العارفين بأصول زراعتها وإنباتها ، ويظهر أن رجال
الزراعة في مصر والشام مبتلون بمرض واحد ، وهو أن لا يملكوا من الأرض
شيئاً ، فيضطرون الى هجر الأرض والالتجاء الى المدن طلباً لوظائف الحكومة ،
وقد يوجد اليوم في دمشق وأعمالها زمرة صالحة من علماء الزراعة ، وجلهم من
الموظفين الذين قد تجدد الجمهورية السورية من يخلفهم في وظائفهم ، ولكنها
لا تجد من يقوم مقامهم في إحياء موات الأرض وإنعاش الزراعة في بلادها ،
فعسى أن تتخذ حكومتنا الشامية حذو الحكومة المصرية فتقطع خريجي
المدارس الزراعية فيها مقداراً كافياً من أملاك الدولة ، تستوفي في آجال طويلة
أثمانها ، وتنفع حين تزرع وتغرس بما تجمع من ضرائبها ، فتجني من جنتها ،
وتغني بغناها .

مطبوعات حديثة

ابن عبد ربه وعقده^(١)

بقلم جبرائيل سليمان مبرور

يتبع في ١٦٤ صفحة طبع بالمطبعة الكاثوليكية في بيروت

كتاب جيد الطبع على ورق صقيل قسّم مؤلفه الفاضل أقساماً خمسة : تسكّم في الاول منها (١-٩) على مصادر الدرس الثلاثة في العقد الفريد نفسه وشعر ابن عبد ربه ثم ما كتبه المؤرخون عنه . وقصر القسم الثاني (ص ٩-٢٩) على حياة ابن عبد ربه فونهاها من الإسهاب والتحقيق ما أسعفت به المصادر المتيسرة للمؤلف . ثم بحث في القسم الثالث (ص ٢٩-١١٧) عن كتاب العقد فجعله فأحسن تحاميله وذكر المصادر التي استقى منها مؤلفه وتعرض لقيّمته من حيث التاريخ والدين والادب وأهم التحقيقات في هذا القسم ما تعلق بتسميته (العقد الفريد) وما دس في الكتاب على مؤلفه أو زهد بعد موته . ووقف القسم الرابع (ص ١١٧-١٢٣) على نثر ابن عبد ربه ، والقسم الخامس (١٢٣-١٥٣) على شعره في مختلف الفنون . وختم الكتاب بفهرس منظم للإعلام الواردة فيه .

هذا وصف مجمل لبحوث الكتاب وسأشرع في الكلام على ما يلاحظ عليه بإجمال متبعاً ترتيب الصفحات :

١- استدلل المؤلف (ص ١٨ وما قبلها) على أن صاحب العقد «كان يشرب الخمر ويحبها ويدعو اليها» بأشعار له في ذكر الخمر وصفها والثناء عليها . ونريد هنا أن (١) الجملة : كان هذا الكتاب قد أرسل للمجمع للتقرير وقد عثرنا عليه أخيراً فلم نغفله من تقريرنا ولو متأخراً .

نفيه إلى أن هذا شائع عند عامة الشعراء حتى الفقهاء منهم . فمن لوازم الشعر صفة النساء والخمر وإنا نخطئ كثيراً إذا اعتمدنا في درس حياة شاعر على ما يذكر في شعره من حب للنساء والخمر أو تمديح بالشجاعة وعفة النفس . والبون شائع بين أقوال الشعراء عندنا وأفعالهم منذ الجاهلية حتى اليوم والذي ثبت شرب الخمر على صاحب العقد خبر ماثور أو رواية مشهورة .

٢ - ليس للمؤلف أن يأخذ برواية (Ribera) (ص ٢٢) ما لم يعلم المصدر الذي استند إليه فكثيراً ما يكون نصيب خطرات النفس وجمجات الخيال أكثر من نصيب الحقيقة فيما يكتب أهل الغرب عن الشرق .

٣ - زعم المؤلف (ص ٥٣) أن ابن عبد ربه « لم يستطع أن يتجرد من بعض النزعات والميول ولم يتجنب كثيراً من الأغلاط التي ارتكبها غيره » وأرسل حكاه هذا مجرداً عن الشاهد فلم يذكر شيئاً من النزعات التي سيطرت عليه ولم يلم بشيء من الأغلاط الكثيرة التي ارتكبها . والمؤرخ لا يرسل حكماً غفلاً من الشاهد والدليل .

٤ - عقد فصلاً بعنوان « نظره كسالم إلى النصراني في الاندلس ص ٧٥ » فقرأناه فإذا به لا يتعلق بالنصارى ولكن بالفرنج (الأسبان) أعداء الدولة العربية فوصف الفرنج بالنصارى يصرف الذهن إلى أشياء لم يردّها المؤلف . وإنما يرد على الخاطر حين تلاوة هذا العنوان الذين لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم . وكنا نود أن يكون المؤلف دقيقاً في وضع الكلمة مواضعها .

٥ - عرض المؤلف ص ٨٠ للقصة التي كانت بين صاحب العقد والقلطاط الشاعر واحتشم عن روايتها فقال « نسكت عن ذكرها لما فيها من بذيء اللفظ . . . » وليس بلائق أن نذكر هنا هذه القصص « وتأخذ عليه أمرين أما الأول فإنه لم يسكت عن ذكرها وأتى العمل الذي رآه غير لائق حين ذكر البيت :

يا غرس أحمد إني مزعم سفيراً فودعيني سرّاً من أبي عمراً !

ثم دل القارئ على المصدر حيث يرى القصة بتفاصيلها فلم نستفد شيئاً من هذه المظاهرة الوردية ! إلا تشويق القارئ إلى معرفتها فلورواها كن الخطب أيسر . وأما الثاني فهو أن الأمانة تقضي على من يتصدى لشرح ناحية من تاريخ الأدب

أن يؤدي الأشياء على حقائقها التي هي عليها لأنّه مؤرخ لا رجل نقائيد ورياء .
١ - قال ص ٨٤ : « إن ابن عبد ربه كان مولعاً بوجه عام في المعارضة سواء أكان فيها انتقاد أم لم يكن . وقد كان في كثير من شعره الذي ذكره في العقد معارضاً لشعراء تقدموه . الخ » وظاهر أن المؤلف فهم من معنى معارضة الشعر : الانتقاد وليس كذلك وإنما المعارضة أن يجري الشاعر مع شاعر آخر في وزن قصيدته ورويها وموضوعها . وهي شائعة معروفة .

٧ - استدلل المؤلف من عدم ذكر توقيعات لأحد بعد المأمون على « أن الذبيح دس في المواضع السابقة قد فاته الدس هنا . وإن وقوف ابن عبد ربه عند المأمون ليحمائنا على الظن أن أكثر الاخبار التي وردت في العقد عن خلفاء بني العباس ممن عقب المأمون دس على ابن عبد ربه الخ » ولا يرد هذا كله لأنه من المعروف أنه ليس لأحد بعد المأمون توقيع يؤثر ويروى لضعف ملكات الخلفاء بعده وقلة بضاعتهم من علوم العربية .

٨ - وازن بين نثر ابن قتيبة ونثر ابن عبد ربه وذكر نماذج ثم ذهب إلى تفضيل الثاني على الأول ص ١١٩ . والذي نراه نحن أن الأمر على العكس وإن النماذج نفسها التي أوردها لا تؤيد رأيه . ويرد الأمر في ذلك إلى الذوق والملاحة ولكل امرئ منها ما رزق .

٩ - في الكتاب تطويل كان يحسن أن يتجرد منه . فالفصل الذي عقده لتشيع ابن عبد ربه والذي ملأ عشر صفحات (ص ٧٠ - ٧١) لا يحصل له ، وهو غير وارد : لأن التشيع مفهوم اصطلاحياً لا يتحقق منه شيء في صاحب العقد ولا يشارك الشيعة في شيء من عقائدهم ولا تبرئهم من بعض الصحابة وكل ما في الأمر أنه يجب آل البيت ويشيد بذكرهم ومناقبهم الصحيحة وهذا يشاركه فيه كل مسلم والغريب أن المؤلف نفسه بعد أن يسود هذه الصفحات العشر يشعر بما قدمنا فيختم فصله بهذه الجملة : « ولعل تشيع ابن عبد ربه من النوع المعروف (بالتشيع الحسن) » .

وكذلك الأمر في فصل « نزعة المغربية ص ٧٢ - ٧٥ » فكان من الخير أن يطويه برمته إذ لا نزعة مغربية عند صاحب العقد كما قرر المؤلف نفسه .

وإحقق بما تقدم فصل (نظاره كمولي الى العرب ص ٧٧ - ٨٠) الذي حشر فيه المؤلف شبه شواهد لا تدل على شيء أبداً نقلاها ابن عبد ربه وتكاد تكون في كل كتاب أدب وخاصة قصة الفقهاء الموالى فإن روايتها لا تدل على شيء فيه نفس ابن عبد ربه . والمؤلف نفسه يعترف بأنه لا يستطيع أن يجزم لأن صاحب العقد ناقل راوٍ ليس إلا . ففهم هذا التطويل اذن ؟

وهناك عدا هذه الفصول التي يجب حذفها تطويلات اخر نذكر منها مثالين :
الاول : أن حاشيته على كلمة الصاحب « هذه بضاعتنا ردت الينا » من التكلف الذي لا داعي له إلا حب الاطالة فليس من فائدة للقارى في رجوعه الى سورة يوسف .
والثاني انه أعاد رواية واحدة لابن خلكان مرتين في عشرة أسطر ص (١٢٥) .
١٠ - كنا نحب للمؤلف أن يغرض كتابه على استاذ بصير يصلح له لغته ،
وإليك نماذج من غلطات الكتاب :

ض	الخطأ	الصواب
١	الشهير	المشهور
٢٤٦١٥٦١٣٦١	بالاخص	خصوصاً
١	بالأخيرة	بالأخير
»	قدميتها	قدمها (لا لزوم للنسبة وإن كانت غير خطأ)
»	أثرت علي	أثرت في
٥٠٦٢١٦٢	كما وأن	كما أن
٣	كلامها قد استقيا	كلامها قد استقى
»	لا سيما وقد	وقد (لا سيما لا يجوز أن تأتي بعدها الواو)
٤	لا سيما ونحن	ونحن
٤	وبالتالي لا نعلم	ولا نعلم
١١٦١٠	عائلة	أسرة
٢٠٦١١	عاصر	أدرك

ص	الخطأ	الصواب	ص	خطأ	صواب
١٥	وقتا لا بأس به	وقتا كافياً أو صالحاً	٨٨	بني هاشم	بني العباس
»	المرجع عندنا نعم	المرجع عندنا انه كاذب	٩٥	أتمم لك	أتمم بك
	يشربها (لا يقع الحرف خبراً)		١١٤	فهل لاي من هاتيه	فهل لاحدي هاتين
٣٦	دور	لعلها درر	١٢٤	وما أنا	وما أناذا
٤٣	يخطأه	يخطئه	»	وها أمامي صفحة	وها هي ذي أمامي
٤٦	وغيرها	وغيرهما		صفحة	
٥٠	امتاز عن تفرد (أوناق علي)		١٢٦	يحيطها	يحيط بها
٥١	عدا عما	عدا ما	١٤٣	(إنه) ذاقس	ذوقس الخ.

وقد تجتمع الخمس من هذه الغلطات في بعض صفحة وتكون اثنتان في السطر الواحد . . .

١١- فنتحى أن يعاد طبع الكتاب وأن يزيدنا المؤلف بياناً عن ميزات الطبقات المختلفة للعقد كما اتنا نلفت نظره الى ان صاحب العقد كثيراً ما يقول وفي كتاب للهند ثم ينقل نصوصاً هي في كايمة ودمنة التي ياردي الناس اليوم انظر على سبيل المثال (٣٧:١) ٤ (٣١:٢) ٤ (٤٣:٢) الخ^(١) وهي مسألة جديدة بالدرس والبحث.

١٢- عرضت أكثر ملاحظاتي لاث الموضوع هام والكتاب نفيس مفيد والجهود المبذولة في تأليفه كبيرة مع اني كنت أود لو تريت في طبعه وتروى أكثر وأنا أرجو للكتاب الرواج وللحوالف الفاضل اطراد النجاح وأن يتدارك هذه العيوب في طبعة ثانية إن شاء الله .

سعيد الوفائي

١



الفهرس الابجدي العام للمجلد الخامس عشر

صفحة	
	﴿ حرف الألف ﴾
٣٩٨	آراء وأخبار
١٣٠	ابن سينا « كتاب »
٤٨٨	ابن عبد ربه وعقده « كتاب »
٢٨٥	أثر الرحلة في الحياة العلمية والأدبية
٣٧٩	أثر المجمع العلمي في نهضة الشام العلمية والأدبية
١٥٨	أخبار النحويين البصريين للإمام السمراني « كتاب »
٢٤٤	أسواق العرب « كتاب »
٣١١	أغلاط دائرة المعارف الإسلامية
٤٦٦	الاهتداء الى قبر معاوية بن أبي سفيان بدمشق
	﴿ حرف الباء ﴾
٢٥٢	بحث في اللغة العربية
٨٥-١٦٥-٤٠١	بجر العوام فيما أصاب فيه العوام
	﴿ حرف التاء ﴾
١٤٠	تأملات عامة في اللهجات العربية
٣٨٨	تطور دور الكتب العربية العامة
٣٩١	التنقابات الجديدة لدار الكتب الظاهرية
	﴿ حرف الجيم ﴾
٤٤٤	جولة في مدارس اليمن

صفحة

* حرف الحاء *

حفلة افتتاح دار الكتب الحلبية	٣١٤
حفلة افتتاح دار الكتب الظاهرية	٣٩٩
حول تاريخ دمشق لابن عساكر	٤٨٥
حول مقالة الطحوم عند المتنبي	٧٨
الحياة الزراعية «مجلة»	٤١١

* حرف الحاء *

خريجو الزراعة في مصر	٤٨٧
----------------------	-----

* حرف الدال *

دور الكتب في حلب قديماً وحديثاً «محاضرة»	٢٩٩
ديوان البراعم «كتاب»	٣٣١
ديوان الوليد بن يزيد	١٥٥-٣٤

* حرف الزا *

رجاء عالي	٣١٣
رسالة تاريخية	٢٣١

* حرف السين *

السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة «كتاب»	٣١٥
--	-----

* حرف الصاد *

الصحافة في طرابلس الغرب	٤٤٤
-------------------------	-----

* حرف الطاء *

طوائف لغوية	٢٦٩
-------------	-----

* حرف العين *

عدي بن الرفاع العاملي	٤٥٠-٣٤٠-٢٤٥
-----------------------	-------------

صفحة	
	حرف القاف
٣٩٤	قصيدة كاتم سر المجمع في الأمير شكيب
١٥٥	قل كربات يضاء
	حرف الكاف
٢٢٤	كانور وسيف الدولة
٤٠٢	كتاب في الشطرنج « كتاب »
٤١٢	كتاب المتن « كتاب »
٣٣٥	كتاب الورقة لمحمد بن داود بن الجراح
٥٩	كتب الدراسة للعلوم العربية في افرقية الشمالية
٣٩٦	كلمة الاستاذ البيطار في الامير شكيب
	حرف اللام
٤٠٠	اللغة العربية في عصبة الامم
٤٠٠	اللغة العربية في محطات الادب البريكانية
٣٧٥	لغة المتنبي
	حرف الميم
٢١٦-٦٩	محاضرات في تاريخ لغة العرب
٣٩٩	محاضرة الامير شكيب أرسلان
٤٠٥	الحجة البيضاء في صحة نعت المجمع بفعل « كتاب »
٢٦٥-٤٧٤	المصاب العام بوفاة السيد الامام محمد رشيد رضا
١٤٥	المصدر اليائي
٢٥١	معالم السنن للخطابي « كتاب »
٣٤١	المعجمية العربية في ضوء الثنائية والالسانية العامة
٤٠٨	مناظرة لغوية أدبية « كتاب »
١٥٧	منع رتبين علميتين

صفحة

✽ حرف النون ✽	
نظريات الاقتصاد عند البيروني	٤٥٦
نهضة العرب العلمية في القرن الاخير (محاضرة)	٤١٥
✽ حرف الماء ✽	
هدية كريمة لخطوطات قديمة	٤٨١
✽ حرف الواو ✽	
وفاء السيد مصطفى صادق الرافعي	٣١١



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم اسلامى